جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

أثر القرآن الكريم في الخطاب النثري الأندلسي
في القرن الخامس الهجري

إعداد الطالب:
طارق محمد السلامين

إشراف:
الأستاذ الدكتور فايز القيسي

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العـــــــــليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
فـــي الأدب العربي قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2010

الإهداء

إلى الروح الطاهرة التي هاجرت باكراً، فلم يكتب لها حضور المشوار...

روح والدي الطاهرة...

إلى التي رفعت أكفَّ الضراعة إلى السماء، وهي تنتظر يوم النجاح...

أمي الفاضلة...

إلى رفيقي دربي اللذين منحاني من دفء مشاعرهما ما أحقق به أملي...

أخويَّ الكريمين...

إلى القابضة على جمر الانتظار... وهي ترقب لحظة التخرج...

زوجتي العزيزة...

إلى فلذتي كبدي اللتين حال انشغالي بهذا الجهد بيني وبينهما...

ابنتيَّ الغاليتين...

طارق محمد السلامين

الشكر والتقدير

أتقــدم بخــالص الشكر وعظيم الامتنان إلى معلمي الكبير الأستاذ الدكتور فايز القيسي الذي منحني من كريم عطائه، وغمرني من فيض علمه ما مكنَّني من إنجاز هذا العمل، كما أتقدم بخالص الشكر إلى الأساتذة الأجلاَّء الأستاذ الدكتور سمير الدروبي، والأستاذ الدكتور محمد الشوابكة، والدكتور خالد الخلفات الذين تكرموا بقبول مناقشة هذه الرسالة، سائلاً المولى سبحانه أن يجزيهم جميعاً خير الجزاء.

طارق محمد السلامين

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
2.3 قصة إبراهيم u	61
3.3 قصة نوح u	64
4.3 قصة أصحاب الفيل..	67
5.3 قصة مريم عليها السلام..................................	70
6.3 قصص أخرى...	73
الفصل الرابع: الفاصلة القرآنية..............................	82
الفصل الخامس: أساليب توظيف الكتَّاب للنص القرآني.............	108
الخاتمة..	130
المراجع..	132

الملَخَّص

أثر القرآن الكريم في الخطاب النثري الأندلسي في القرن الخامس الهجري

طارق محمد السلامين

جامعة مؤتة، 2010

شكّل القرآن الكريم رافداً أساسياً من روافد ثقافة الكتاب الأندلسيين، وكانت حضورية النص القرآني في رسائلهم شاهداً حياً على عمق صلتهم بالقرآن الكريم وتأثرهم به، بل أصبح توظيف النص المقدس، والقدرة على تطويعه لخدمة موضوعاتهم، والتفنن في انتقاء أساليب التعبير، معايير تقاس بها ثقافة الكاتب وتبين مدى نجاحه في تطور عملية الإبداع الفني؛ لهذا وجه الكتاب اهتمامهم إلى ما يعينهم على التعبير عن رؤاهم وأفكارهم، ويملك القدرة على التأثير في النفوس، فوجدوا ذلك كله في القرآن الكريم، فاستلهموا نصوصه الكريمة، وأفادوا منها ما أغنى إبداعاتهم وعمَّق تجاربهم. وقد جاءت هذه الدراسة لتكشف عن بعض جوانب التأثر القرآني لهؤلاء الكتاب، فبعد تسليط الضوء على ثقافة الكاتب الأندلسي وبيان أهمية الكتابة في المجتمع الأندلسي والمكانة السامية التي حققها القرآن الكريم في نفوس الأندلسيين، كشفت الدراسة عن أثر المعاني والقصص والفاصلة كنماذج حية تكشف عن الأثر الكبير الذي تركه القرآن الكريم في نفوس الكتاب، ثم بيان الأساليب الفنية التي اتبعها الكتاب في توظيف النصوص القرآنية. استوحى الكتاب كثيراً من المعاني القرآنية، وتم اختيار أبرز تلك المعاني، حيث سعى الكتاب إلى توظيفها والاستعانة بها للتعبير عن مقاصدهم بأساليب مختلفة. وأما القصة القرآنية التي تعد سراً من أسرار القرآن الكريم، فقد كشف توظيفها عند الكتاب الأندلسيين عن الواقع الذي أرادوا تصويره، فجاءت تلك القصة لتعبّر عن معانٍ ودلالاتٍ في نفس الكاتب، فاستوحى منها ما يتناسب وموضوعاته، وحقق بذلك تفاعلاً إيجابياً أسهم في إثراء نصِّه وتميزه. وتناول الكتاب الفاصلة القرآنية واستثمروا خصائصها، ووظفوها بأساليب وأشكال متعددة – من حيث تساوي الفصول وطولها وقصرها – توظيفاً يدل على صلتهم العميقة بالقرآن الكريم، ومعرفتهم لأسرار نظمه وإيقاعه. وأما أساليب الكتاب في توظيف النص القرآني، فقد كشفت عن القدرة الفنية لهؤلاء الكتاب، وتوسِّعهم في ابتداع أساليب فنية تهدف إلى تحقيق غاياتهم من توظيف النص القرآني بصورة تناسب طبيعة سياقاتهم الأدبية.

Abstract

The Influence of Holy Qur'an in the Andalusian Prosaic Address on the Fifth Century of the Hegira

Tareq Mohammad Al-Salamein

Mu'tah University, 2010

The Holy Qur'an shapes a main resource of culture for the Andalusian writers, the existence of the Qur'anic version in their dissertations is a lively witness on their deep relation with the Holy Qur'an and on their affection of it. Nevertheless, the employment of the holy version, the ability to subdue the version to serve their subjects, the diversity in the selection of expression styles; are criteria – to measure the writer's culture and to show his success in development of the creative artistic process, therefore, the writers focused their attention on what could assist them to express their thoughts and visions and to what has the capacity to affect the souls, they found all this in the holy Qur'an, they prayed for inspiration from the holy Qur'an versions, and they benefit what enriched their creations and deep experiences. This study came to disclose some of the holy Qur'an affection for those writers, hereafter the focus on the Andalusian writer's culture, identifying the importance of writing in the Andalusian community, the ultimate position that the holy Qur'an attained in the souls of the Andalusions, the study disclosed the effect of meanings, stories and the interval as lively formats that show the great impact which the holy Qur'an left in the writers souls. In addition, the study examined the artistic styles followed by eriters in implying the Qurani'c versions. The writers derived a great amount of meanings from the holy Qur'an, they had selected the most prominent of these meanings, the writers sought to employ those meanings and to assist them to their purposes with various approaches. The Qur'anic story that is considered a secret of the holy Qur'an was employed by the Andalusian writers to express the reality they wanted to image, the stories came to express meanings and indications in the writer's soul who derived from the story what hoes in accordance with his topics, and hereby he achieved a positive interaction that contributed to the enrichment and destination of his text. The book dealt with Qur'anic comma which they invested its characteristics, and they employed it in several forms and styles -from the perspective of chapters equalivation, length and shortness- this employment indicated their deep relation with the holy Qur'an, their knowledge of the Qur'an secrets of regulation and rhythm. Regarding the writer's styles in employing the Qur'anic version, the study disclosed the artistic ability of those writers, their extension in creation the artistic styles aim to attain their purposes of the Qur'anic version employment in a suitable way appropriate to the nature of their literary contexts.

المقدمة:

وبعد، فإنَّ النثر الأندلسي غني بطاقاته الإيحائية المعبَّرة عما فيه من إبداعات فنية تميزت بأصالة الإبداع، والدارس لأدب الأندلسيين يلمس أدوات فنية وطاقات تعبيرية استخدمها الكتاب للتعبير عن مقاصدهم، والذي يهمنا في هذه الدراسة هو بيان الدور الذي مارسه الخطاب الديني المتمثل في القرآن الكريم في خدمة الرسائل الأندلسية، فقد تأثر الكتاب بالقرآن الكريم أسلوباً ومضموناً وفصاحة وبلاغة، ولأنه أعظم كتاب عرفته البشرية -وهو منبع ثروتها الفكرية الخالدة- فقد تعلَّق به الكتاب الأندلسيون، حتى أصبح رافداً أساسياً من روافد ثقافتهم، وشكّل حضوراً متميزاً في رسائلهم.

ترسّبت العناصر القرآنية في كتاباتهم، فكشفت عن خفايا الإبداع الفكري والفني لدى هؤلاء الكتاب الذين سعوا جاهدين للوصول إلى سر الجمال الفني في هذا الكتاب العظيم، لهذا وجّهوا عنايتهم إلى إبراز القدرة الفنية، والإبداع التصويري، والأداء التعبيري في هذا الكتاب الذي سيظل معجزة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وعمدوا إلى توظيفها في رسائلهم بأسلوب يعبر عن قدراتٍ إبداعيةٍ.

إنَّ طموح هؤلاء الكتاب في إيجاد قواعد الإبداع والتميز، دفعهم إلى البحث عن جماليات النص الفنية، فوجدوا القرآن الكريم خير رافد يغني هذه الإبداعات ويعمق تلك التجارب، ويضفي عليها جمالاً فنياً يمتلك القدرة على اختزال النصوص وتمثلها في صور فنية متعددة، لاسيما في الأثر الذي أوجدته الأحداث السياسية المتمثلة في تطلع الصليبيين لاستعادة الأندلس إلى حظيرة النصرانية، وما نتج عنه من تردٍّ للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

والغريب في الأمر هو غياب دور الباحثين في استجلاء تلك الظاهرة –أعني ظاهرة الأثر القرآني في النثر الأندلسي– رغم أنها ثغرة واسعة تحتاج لكثير من الجهد، وتستدعي الدارسين لاستقصائها ورسم ملامحها، إذ ليس ثمة دراسة مستقلة تناولت الأثر القرآني في الأدب الأندلسي إلا في مجال الشعر، حيث تطالعنا دراستان هامتان هما : دراسة محمد العاني الموسومة بأثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط غرناطة، ودراسة أحمد الربيعي "القصص القرآني في الشعر

الأندلسي" وهما دراستان جديرتان بالعناية والتقدير، لما لهما من أهمية بارزة في بيان أثر النص القرآني في واحد من جوانب الأدب الأندلسي.

من هنا فإنَّ هذه الدراسة –التي لا تخلو من العيوب والمآخذ– هي محاولة تهدف إلى تسليط الضوء على بعض جوانب الأثر القرآني في رسائل الكتاب الأندلسيين في القرن الخامس الهجري، وتلفت أنظار الباحثين المهتمين إلى ضرورة تلمّس جوانب ذلك الأثر بشكل تفصيلي.

وقد تكونت هذه الدراسة من تمهيد وأربعة فصول وخاتمة، درس الباحث في التمهيد ثقافة الكاتب الأندلسي، وبين أهمية الكتابة في المجتمع الأندلسي، والشروط التي ينبغي توافرها في الكاتب، وقد ثبت أن القرآن الكريم شكّل رافداً أساسيا من روافد تلك الثقافة لأن الأندلسيين جعلوه أصلاً في التعليم، فحرصوا على تعليمه لأبنائهم منذ الصغر.

وفي الفصل الأول تناول الباحث أثر المعاني القرآنية وأشار إلى أبرز تلك المعاني وأكثرها حضوراً في رسائل الكتاب، حيث جاء توظيفهم لها بأساليب مختلفة، كما عكس جانباً من ثقافتهم المستمدة من القرآن الكريم.

وتحدث الباحث في الفصل الثاني عن أثر القصص القرآني وبيان الدور الذي قامت به القصة القرآنية في بناء رسائل الكتاب من خلال الاستدلال بقصص بعض الأنبياء التي تناولها الكتاب للتعبير عن معانٍ مختلفة.

وأما الفصل الثالث فقد جاء لبيان أثر الفاصلة القرآنية، حيث توافقت فواصل الكتاب مع فواصل قرآنية، وكانت تتسم بقربها إلى العفو والطبع وبراءتها من التكلّف.

وجاء الفصل الرابع لبيان الأساليب الفنية التي اتبعها الكتاب الأندلسيون في توظيف النص القرآني، حيث تفننوا في انتقاء أساليب تعبيرية مختلفة، عكست مدى قدرتهم على تطويع النص القرآني لخدمة رسائلهم.

وأما الخاتمة فقد تضمَّنت النتائج العامة التي توصَّل إليها الباحث من هذه الدراسة.

وقد اعتمد الباحث في دراسته المنهج الاستقرائي الوصفي، إذ تم تناول النصوص على أسس موضوعية ثم الإفادة من مضمونها.

وقد تنوعت مصادر البحث، حيث كان كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام من أهم المصادر التي اعتمدها الباحث، يلي ذلك كتاب قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لابن خاقان، إضافة إلى مجموعة أخرى كان لها فضل في خدمة هذه الدراسة.

وأما المراجع، فثمة مجموعة من المراجع أفاد الباحث من أساليب مؤلفيها وطرق معالجتهم للموضوعات، ومن هذه الكتب: أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي لمحمد العاني، وأدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري لفايز القيسي، والرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري لمحمد الدروبي، وأثر القرآن في الشعر العربي الحديث لشلتاغ عبود شرّاد، واستيحاء التراث في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين لإبراهيم الياسين إضافة إلى مجموعة أخرى أسهمت في خدمة هذه الرسالة.

الفصل الأول
ثقافة الكاتب الأندلسي

1.1 عام:

اهتمَّ الأندلسيون بسائر العلوم لاسيَّما علم الأدب الذي يعد من أنبل العلوم عندهم، يقول المقري: "وعلم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم، وبه يُتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم، ومَن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غُفْل مُسْتثقل"[(1)].

من هنا أدرك الأديب الأندلسي أنَّ الاطلاع الواسع على التراث الأدبي والتمرس بروايته وحفظه يمثِّل رافداً أساسياً في بناء القاعدة الثقافية السليمة للمبدع[(2)]، ولكن قبل هذا كله لا بدَّ له من دعائم أساسية يؤسس منهجه عليها، لذا اتجه إلى مراكز التعليم منذ نعومة أظفاره، فابن شهيد[(3)] (382-426هـ) كواحدٍ من أدباء الأندلس المشهورين، يشير إلى أن تعليمه بدأ بتعلّم الهجاء، وفي ذلك يقول:

"كنت أيام كتّاب الهجاء، أحنَّ إلى الأدباء، وأصبو إلى تأليف الكلام، فاتبعت الدواوين، وجلست إلى الأساتيذ، فنبض لي عرق الفهم ودرّ لي شريان العلم"[(4)].

لقد بدأ الأدب الأندلسي يشهد تطوراً واسعاً مع نهاية القرن الرابع الهجري، فقد اتسع النطاق المكاني لهذا الأدب، وتعددت أسماء الأدباء الذين يستوقفون الدارس

---

(1) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1988، م1، ص222.

(2) الجبوري، سعد، ثقافة الشاعر وأثرها في معايير النقد العربي القديم حتى نهاية العصر العباسي، ط1، مؤسسة الرسالة، دمشق، 2002، ص63.

(3) هو أحمد بن عبد الملك بن شهيد الأشجعي؛ أبو عامر، وزير كاتب شاعر، استوزره المستظهر ثم المعتد بالله، ولد سنة (382هـ) وتوفي سنة (426هـ) انظر: ابن خاقان، الفتح بن محمد بن عبد الله (ت: 529هـ). مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد الشوابكة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ- 1983م، ص189.

(4) ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت: 542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1989، ق1، م1، ص246.

الأدبي، فبعد أن كانت قرطبة هي الدائرة الكبرى التي ينجذب إليها الأدباء من شتى النواحي، تكاثرت المراكز الأدبية، وكثر الممدوحون وحماة الأدب ورعاته، وكثرت دواوين الإنشاء وتعدد الوزراء الكتّاب(1).

وحظيت الكتابة -وعلى رأسها أدب الرسائل- باهتمامٍ بالغ لدى الأندلسيين، حيث أدرك المجتمع الأندلسي -وفي مقدمته الخلفاء وكبار الكتاب البلغاء- أهمية أدب الرسائل، وضرورة الاهتمام بقيمه الجمالية والفنية، باعتباره مرآة واقع الدولة ومستواها الحضاري(2).

وفي مطلع القرن الخامس الهجري شهدت الأندلس اضطراباً سياسياً واضحاً، أدى إلى انقسام الدولة الواحدة إلى دويلاتٍ متعـدّدة، فتعـددت جوانب اهتمامها واتصالاتها لاسيَّما الخارجية منها، فتطلب ذلك وجـود مراسـلات متنوّعـة تلبّـي حاجاتها الإدارية والسياسية الداخلية والخارجية(3)، فظهر عدد من الكتاب الذين نالوا حظاً وافراً من الشهرة، وزخرت بهم وبكتاباتهم كتب مصادر الأدب الأندلسي.

وقد لقيت جميع فنون النثر التقليدية ترحيباً واسعاً لـدى الأندلسـيين ، وزادوا عليها ما اقتضته ظروف حياتهم الخاصة، وبذلك أضفوا على نثرهم طابعاً مميـزاً، وهو وليـد أمزجتهم وثقافتهم وأوضاع مجتمعهم وشاعريتهم، ولمَّا كان أكثر أدبـاء الأندلس يجمعون بين النثر والشعر فقد ملكوا القدرة على التمييز بين الموضـوعات التي تصلح للشعر، والتي تصلح للنثر(4).

---

(1) عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمـرابطين، ط 7، دار الثقافة، بيروت، 1985، ص107.

(2) القيسي، فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخـامس الهجـري، ط 1، دار البشير، عمان، 1989، ص94.

(3) المرجع نفسه، ص92.

(4) عتيق، عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضـة العربيـة، بيـروت، 1976، ص347.

2.1 بروز الأندلسيين في فني المنظوم والمنثور:

لقد طرق الأندليسون بابي النظم والنثر، وأخذ الشعراء يقطعون الأندلس طولاً وعرضاً ينتجعون قصور الملوك والأمراء للظفر بصلاتهم والطمع بأعطياتهم[1]، بل إنَّ كتَّاب الأندلس كانوا شعراء في معظم الأحيان، كابن زيدون، وابن درّاج، وابن شهيد وغيرهم، لهذا استطاع هؤلاء الكتَّاب بما أوتوا من موهبة شعرية متوقدة، وذوق أدبي، ولطف خيال، أن يرتقوا بأساليب النثر العربي ومذاهبه حتّى صار كالشعر المنثور، لا ينقصه غير الوزن والقافية[2].

وأبدع الأندلسيون في فنون الكتابة وأنواعها، وعالجوا شتّى الموضوعات، كما أجادوا فن النظم، وحاكوا المثل العليا المشرقية[3]، وقد أشار ابن بسام إلى تميز الأندلسيين في فنيّ النظم والنثر، حيث قال: "وَمَا زَالَ فِي أُفقِنَا هَذَا الأَنْدَلُسِيِّ القَصِيِّ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا مِنْ فُرْسَانِ الفَنَّيْنِ، وَأَئِمَّةِ النَّوْعَيْنِ، قَومٌ هُم مَا هُم طِيْبَ مَكَاسِرٍ، وَصَفَاءَ جَوَاهِرٍ، وَعُذُوبَةَ مَوَارِدَ وَمَصَادِرَ، لَعِبُوا بِأَطْرَافِ الكَلامِ المُشَقَّقِ، لَعِبَ الدُّجَى بِجُفُونِ المُؤَرَّقِ، وَحَدَوا بِفُنُونِ السِّحْرِ المُنَمَّقِ، حُدَاءَ الأَعْشَى بِبَنَاتِ المَحَلَّقِ، فَصَبُّوا عَلَى قَوَالِبِ النُّجُومِ، غَرَائِبَ المَنْثُورِ وَالمَنْظُومِ"[4]، بل إنّهم باهوا الزمان بعجائب أشعارهم ورسائلهم لما تميزوا به من انتقاء عباراتهم وحسن توظيفها، يقول ابن بسام: "وَبَاهُوا غُرَرَ الضُّحَى وَالأَصَائِلِ، بِعَجَائِبِ الأَشْعَارِ وَالرَّسَائِلِ: نَثْرٌ لَو رَآهُ البَدِيْعُ لَنَسِيَ اسْمَهُ، أَو اجْتَلاهُ ابْنُ هِلالٍ لَوَلاَّهُ حُكْمَهُ، وَنَظْمٌ لَو سَمِعَهُ كُثَيِّرُ مَا نَسَبَ وَلا مَدَحَ، أَو تَتَبَّعَهُ جَرُولٌ مَا عَوَى وَلا نَبَحَ"[5].

وحظي الكتَّاب والشعراء بمكانة عالية لاسيَّما في بلاطات الملوك والوزراء التي كانت مسرحاً للمطارحات الأدبية والنظرات النقدية، فكان الأدباء والشعراء

---

(1) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص65.

(2) سلامة، علي محمد، الأدب العربي في الأندلس تطوره، موضوعاته، وأشهر أعلامه، ط1، الدار العربية للموسوعات، 1989، ص453.

(3) ضيف، شوقي، (1971)، فصول في الشعر ونقده، ط2، دار المعارف، ص144.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص11.

(5) المرجع نفسه، ص11-12.

يجتمعون في تلك المجالس للمذاكرة في الأخبار الأدبية ومدارسة الشعر، فيتعـاطون المنظوم والمنثور، وكان الشعر يقرض في هذه المجالس ارتجالاً وعلى البديهة، وقد أبدع الشعراء والكتّاب في وصف هذه المجالس والدعوة إليها، ومن هذه المجـالس الأدبية تلك التي كانت تعقد في مجلس المعتمد بن عباد[1] يـوم الإثنـين مـن كـل أسبوع[2].

وإذا علمنا أن الشعر يقرض ارتجالاً في تلك المجالس، فإنّ النثر أولى بتلـك السّمة لاسيَّما في فن الخطابة، ولعلّ خطبة المنذر بن سعيد[3] بـين يـدي الخليفـة الناصر ورسل الروم الذين وفدوا يطلبون المسالمة سنة (338 هـ) خير شاهدٍ على تميز الأندلسيين بسرعة البديهة والقدرة على الارتجال، حيث قدّم الخليفة أستاذه أبـا علي القالي ليخطب الحفل، لكن القالي بُهت ووقف ساكتاً بعـد أن حمـد الله تعـالى وأثنى عليه وصلى على نبيه وسلم، فقام المنذر بن سعيد متداركاً الموقف، فوصـل افتتاح أبي علي، وخطب خطبة كأنَّما كان قد أعدَّها من قبل[4]، ولا شـك أن هـذا النوع من الخطابة أوجدته ظروف سياسية واضحة، هي: إجلال الخلافـة، وإظهار هيبة السلطان أمام الحاشية[5].

---

(1) هو المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بن القاضي أبي القاسم بن عبـاد، وكـان خلف أباه المعتضد على أشبيلية بعد وفاته سنة 461هـ، وقد قبض عليه سير بن أبي بكـر سنة 484هـ، ومات أسيراً بأغمات سنة 488هـ. انظر: ابن خاقان، أبو نصر الفـتح بـن محمد بن عبد الله (ت: 529هـ)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسين خريوش، ط1، مكتبة المنار، الأردن، الزرقـاء، 1989، ص51، ابـن بسـام، الـذخيرة، ق2، م1، ص41.

(2) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص70.

(3) هو منذر بن سعيد البلوطي (ت: 355هـ) خطيب مصقع وشاعر بليغ، لفتت خطبتـه نظـر عبد الرحمن الناصر فولاه بعد ذلك الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء، انظـر: ابن خاقان، المطمح، ص237-245.

(4) المرجع نفسه، ص240-245.

(5) ابن محمد، علي، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري مضامينه وأشكاله، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980، ص191.

وممّا تجدر الإشارة إليه أن معظم كتّاب الأندلس يجمعون بين النثر والشعر، ويجيدون فيهما على حدٍّ سواء، وقد عُرف من أحسن النظم والنثر من الوزراء بذي الوزارتين، أما من أتقن النثر وحده فقد عُرف بالوزير الكاتب[1].

ومن بين الكتّاب الذين ذاع صيتهم ابن شهيد، حيث برع في فنون النظم والنثر، حتى قال عنه صاحب الذخيرة: "إن هزل فسجع الحمام، أو جدَّ فزئير الأسد الضرغام، نظم كما اتّسق الدر على النحور، ونثر كما خُلط المسك بالكافور"[2].

وكان أشدَّ ما يغيظ ابن شهيد إلصاق العيب بإنشائه وشعره، ولذلك تعقّب ابن الإفليلي[3](441هـ) أحد معلمي اللغة العربية في قرطبة بشدّة، وتهكّم به كلما سنحت الفرصة، وهاجم من أجله طبقة المعلمين، كما صب جامّ غضبه على أبي بكر المعروف بإشكمياط[4] لأنه زعم أن ابن شهيد ينتحل ما لغيره[5].

إنّ ازدهار الأدب لدى الأندلسيين ونبوغهم في حقوله، لا يعود إلى الرعاية والحرية التي أضفاها الملوك على المظاهر الثقافية فحسب، وإنّما يرجع إلى الطريقة التي جرى عليها تعليم اللغة العربية الفصحى آنذاك[6].

ويمكننا القول: إن أكثر ما يميز الكتّاب الأندلسيين أنَّ أكثرهم من فرسان الفّنين: الشعر والنثر، وإن كان لهذا الأمر فائدة فإنَّها تظهر في حسن اختيار

---

(1) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص42.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص192.

(3) هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا القرشي الزهري المعروف بالإفليلي (352-441هـ)، قال عنه ابن حيان: إنَّه بذّ أهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربي والضبط لغريب اللغة، وكان غيوراً كثير الحسد، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص281.

(4) إشكمياط: هو محمد بن قاسم المكنى بأبي بكر، وهو ممن شهد الفتنه ثم استقر أخيراً في دانية عند مجاهد العامري، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص230.

(5) عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ط1، دار الشروق، 2001، ص255.

(6) بيريس، هنري الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ملامحه العامةوموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، ترجمة الطاهر مكي، ط1، دار المعارف، 1988، ص29.

الموضوعات، ودقة اختيار الألفاظ التي تصلح للنثر دون الشعر، ولهذا فإن القارئ يجد نثرهم رقيقاً كشعرهم(1).

3.1 نشأة الكتابة في الأندلس وتطورها:

إنَّ الدارس لفنون النثر الأندلسي يجد فن الرسالة من أسبق ألوان النثر الفني ظهوراً في الأندلس، وقد كان الأندلسيون متمكنين من الخطابة والشعر والنثر منذ قدومهم لتلك البلاد، حيث يؤكد ذلك ابن بسام بقوله: "إنَّ أهل هذه الجزيرة –مذ كانوا- رؤساء خطابة ورؤوس شعر وكتابة"(2).

وكانت لفظة الكاتب في الأندلس تطلق على طبقتين من الناس: كتاب الرسائل وكتاب الزمام، فكاتب الرسائل له حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس ، وأشرف أسمائه الكاتب، وأما كاتب الزمام فهو المسؤول عن شؤون الخراج(3).

وقد ظهر ديوان الرسائل في الأندلس منذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري، حيث اتخذ الولاة والأمراء منذ بداية هذا القرن كتّاباً يكتبون لهم فيما يصدر عنهم من رسائل وعهود، وفيما يكاتبون به عمالهم وولاتهم(4).

وفي القرن الثالث الهجري أصبح للكتابة ذات الطابع الرسمي حضور واضح لدى الولاة والأمراء وكتّاب الدواوين، لبسط أخبار الفتن والثورات، وبيان سياسة الحكم وتنظيم شؤون الدولة وتسييرها، وما يتعلق بحقوق الرعية وواجباتها أو التعبير عن همومها ورفع شكاواها وتظلماتها إلى الحاكم(5).

وعندما جاء القرن الرابع الهجري شهد أدب الرسائل تطوراً كبيراً من الناحيتين: الموضوعية والفنية، فمن الناحية الموضوعية كثرت الرسائل الديوانية،

---

(1) الشريف، العربي سالم، دراسات في الأدب الأندلسي، دار شموع للثقافة، ص284.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص14.

(3) عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ص295.

(4) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص95.

(5) نجا، أشرف محمود، في الأدب الأندلسي بحوث في نقد الخطاب الإبداعي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006، ص161.

وتعددت أغراضها، وأصبح الكاتب الأندلسي ينشئ الرسائل السياسية والحربية ويكتب العهود والمواثيق(1).

وأما من الناحية الفنية فقد اهتم الكتاب بعناصر البناء الفنّي للرسالة من حيث البداية والموضوع والخاتمة، كما اهتموا بالمحسنات البديعية من سجع وجناس ومقابلة وازدواج، ومالوا إلى الإطالة والإطناب وإلى تزيين رسائلهم بالشعر(2).

أما في القرن الخامس الهجري فقد تطور أدب الرسائل تطوراً لم يسبق له مثيل في القرون السابقة، ومن مظاهر هذا التطور ترسُّم كتّاب الأندلس خطى المشارقة، وتأثرهم بأساليب النثر المشرقي سواء في الأغراض أو في طرائق التعبير والأداء(3).

وكان ابن شهيد واحداً من نقاد القرن الخامس الهجري في الأندلس، حيث وضّح آراءه في أصول الكتابة وطرائقها، فقال: "لكل عصر بيان، ولكل دهر كلام، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة، وضرب من البلاغة... ألا ترى أنَّ الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الأول في هذا الفن إلى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من أهل البيان؟"(4).

وقد استطاع الكلاعي(5) أن يقف على حقيقة التطور الفني الذي أصاب النثر الأندلسي في عصره بصورة عامة، وأن يفرّق بين مذهبين سادا النثر الفني الأندلسي في القرن الخامس الهجري(6).

وأول هذين المذهبين: المصنوع، وسمّاه بذلك "لأنه نمّق بالتصنيع، ووشّح بأنواع البديع، وحُلّي بكثرة الفواصل والأسجاع، وثانيهما المرصّع، وسمّاه بذلك "لأنه

(1) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص95.

(2) المرجع نفسه، ص96.

(3) الشريف، دراسات في الأدب الأندلسي، ص229.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص237.

(5) الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيلي (ت: 545هـ)، إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، ط1، تحقيق: محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، 1985.

(6) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص311.

رُصّع بالأخبار والأمثال والأشعار وآيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي u ، إلى غير ذلك من النحو والعروض وحل أبيات القريض[1].

وقد ارتفعت قيمة الوظائف الكتابية، وتعددت فروعها، وشاعت ألقاب الوزارة عند من يتولونها، وصار الكتّاب الوزراء من أخصّ خاصة الخلفاء والأمراء، لأنهم اللسان الناطق بتوجيهاتهم، والمبلّغ لأوامرهم حين يكتبون، وهم موضع الأمانة ومستودع السر في كل ما يرد إلى أمير المؤمنين من أنباء وتقارير ومراسلات[2].

4.1 أهمية الكتابة في المجتمع الأندلسي:

لقد أفضى انقسام الأندلس إلى أندلسيات متعددة على العلم والأدب تقدماً ورقياً عظيماً، إذ تعددت مراكز النشاط الأدبي فيها، وكان كل حاكم أو أمير يعنى بأن يكون في بلاطه أهم كاتب في إقليمه، ومن ثمّ أصبحت كل مدينة تشتهر بكاتب مهم إن لم يكن بطائفة من الكتّاب[3]، وكان الحكام والأمراء يختارون كتاب الرسائل من أهل الأدب والثقافة، وممن ملكوا تقاليد البلاغة والفصاحة، واتصفوا بالملكة البيانية وغيرها من أدوات الكتابة[4].

وكان هؤلاء الحكام يحيطون أنفسهم بكتاب قادرين على تحرير الرسائل الرسمية في لغة دقيقة، كتلك التي شهر بها ابن العميد [5] والصاحب بن

---

(1) الكلاعي، إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، ص 121-134.

(2) ابن محمد، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله، ص173.

(3) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط3، دار المعارف بمصر، 1960، ص325.

(4) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص93.

(5) هو أبو الفضل محمد بن الحسين المعروف بابن العميد، وزير من أئمة الكتاب، كان متوسّعاً في علوم الفلسفة والنجوم، قال عنه الثعالبي: "بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد"، توفي سنة (360هـ) انظر: ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت: 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: يوسف طويل، مريم طويل، ج5، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص103.

عباد[1] في المشرق، ومن الملاحظ أن التنافس بين الأسر الحاكمة لا يقتصر على المجال السياسي فحسب، وإنَّما تحاول كل أسرة أن تتفوّق على جيرانها ومنافسيها باختيار كتابها من بين الأدباء الأوسع شهرة، والأكثر تفوقاً على زملائهم في البلاطات الأخرى[2].

وبلغ من أهمية الكتابة أنَّها أصبحت جسراً يعبره الكتاب للوصول إلى المناصب العليا في الدولة، إذ إن الوزارة تتصل قبل أي شيء آخر بالكتابة، فإذا كان الكاتب على مقدرة شعرية ممتازة، صحّ له أن يبلغ مرتبة الوزارة، ويكون شعره ميزة تعينه على ذلك، لكنه لو انفرد بالشعر دون الكتابة لما استطاع أن يبلغ تلك الوظيفة[3].

وفي بيان فضل الكتابة وأهميتها وصل الحد ببعض الكتَّاب إلى إقامة مناظرة بين السيف والقلم، حيث كان ابن برد الأصغر[4] أول من سبق إلى القول في هذا الجانب بالأندلس، ولعلَّ اختيار السيف والقلم جاء لكونهما وسيلتين للوصول إلى المجد والشرف والمراتب العليا، والقارئ لتلك المناظرة[5] يلمس تأكيداً على أهمية دور القلم، يقول ابن برد: "والأفضل من فضله الله عز وجل في تنزيله، مقسماً به

---

(1) هو إسماعيل بن عباد (ت: 385هـ) وزير غلب عليه الأدب، وزير لمؤيد الدولة البويهي، وسمي بالصاحب لطول صحبته إياه، له رسائل وعدد من التصاريف، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج1، ص231.

(2) بيريس، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، ص29.

(3) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص145.

(4) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الأصغر، أبو حفص الكاتب، له رسالة السيف والقلم والمفاخرة بينهما، رآه الحميدي بالمرية بعد سنة (440هـ)، انظر:ابن خاقان، المطمح ، ص207، ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص486.

(5) انظر نص المناظرة: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص523-528.

لرسوله، فقال: (ن، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُون)[1]، وقال: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ # الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)[2]، فجلَّ من مقسم وعزّ من قسم... لقد أخذت الفضل برمته وقدمت الفخر بأزمّته"[3].

وبعدهذا كله نجد صلاح الدين الأيوبي يقول لرجاله، رجال الحرب : "لا تظنوا أنّي ملكت البلاد بسيوفكم، بل بقلم الفاضل"[4]، أي بقلم كاتبه عبد الرحيم بن علي البيساني[5].

وإذا كانت حاجة الملوك والأمراء إلى الشعراء تكمن في نشر فضائلهم والتغني بمحاسنهم، فإنَّ حاجتهم إلى الكتاب أكبر، إذ كان الكاتب عوناً للسلطان في إدارة شؤون الإمارة وجمع الضرائب، وقد أشار ابن بسام إلى ذلك بقوله: "واحتاجوا في جباية أموالهم وتدبير رجالهم، إلى ذلك الفلّ من الكتاب القرطبيين الذين أصبحوا يومئذٍ أيدي سبا وتفاريق العصا، فشاركوهم في نعمتهم، وألقوا إليهم بأزمتهم، متمهدين بتدبيرهم لأكنافهم، مؤتمّين بهم في شقاقهم وخلافهم"[6].

وفي هذا المعنى يؤكد القلقشندي (ت: 821 هـ) في صبح الأعشى على أهمية الكتابة، مشيراً إلى أنها من أشرف الصنائع لعظيم عائدتها على السلطان ودولته، لأنه يحتاج في انتظام أمور سلطانه إلى ثلاثة أشياء، لا ينتظم ملكه مع وقوع خلل فيها، أحدها: رسم ما يجب أن يرسم لكل من العمال والمكاتبين عن

---

(1) سورة القلم، الآية: 1.

(2) سورة العلق، الآيتان: 3-4.

(3) ابن بسام ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص524.

(4) ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت: 636هـ)، الوشي المرقوم في حل المنظوم، تحقيق: جميل سعيد، المجمع العلمي العراقي، 1989، ص11.

(5) عبد الرحيم بن علي البيساني المعروف بالقاضي الفاضل، ولد بعسقلان سنة 529هـ، وانتقل إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة وفيها توفي سنة 596هـ، كان من وزراء صلاح الدين ومن مقربيه، كان كثير الرسائل، حتى قيل: "لو أن رسائله وتعليقاته جمعت لم تقصر عن مئة مجلد" ولي والده قضاء بيسان في فلسطين فنسب إليها، انظر: ابن الأثير، الوشي المرقوم في حل المنظوم، ص54.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص21-22.

السلطان ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسة، من أمر ونهي وترغيب، ووعد ووعيد. الثاني: استخراج الأموال من وجوهها، واستيفاء الحقوق السلطانية فيها، والثالث: تفريقها في مستحقّيها من أعوان الدولة وأوليائها الذين يحمون حوزتها، ويسدون ثغورها ويحفظون أطرافها ويذبون عنها وعن رعاياها[1].

وما دام الكاتب لسان الخليفة، فإن سمعة الخلافة والدولة ترتبط بما تتصف به الرسائل التي يدبّجها الكاتب من فن أدبي وقيم جمالية، وأن أي عثرة قلم أو سهو بال من خطأ أو غيره ينقص من قدر الخلافة[2].

لهذا كله أدرك الكاتب الأندلسي عِظَم المسؤولية الملقاة على عاتقه، فأيقن أنَّ براعته لا تتجلّى في قدرته على تطويع جزء يسير من المخزون الثقافي لاستيعاب ثقافة عصره فقط، بل في إصراره على تقديم إبداعٍ جديدٍ، يسير جنباً إلى جنب مع التطور الحضاري الذي تتطلع إليه بيئته، ويطمح إلى تحقيقه مجتمعه[3].

وممَّا زاد من أهمية الكتابة أن رسائل الكتاب الأندلسيين كانت وسيلة لبثّ الروح الحماسي، وشحذ الهمم لإنقاذ الأندلس من خطر التكتل الصليبي الذي كان يهدف لاستعادة الأندلس إلى حظيرة النصرانية، إضافة إلى الرسائل التي كانت تحض على الجهاد لإنقاذ الأندلس، كتلك التي كان يبعث بها ملوك الطوائف إلى المرابطين، يطلبون منهم العون والمساعدة في رد الخطر الداهم الذي يسعى إلى طمس الهوية الإسلامية في الأندلس[4].

---

(1) القلقشندي، أحمد بن علي (ت: 821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج1، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص67-68.

(2) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص94.

(3) الجبوري، ثقافة الشاعر وأثرها في معايير النقد العربي القديم حتى نهاية العصر العباسي، ص63.

(4) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص144.

واهتم الأندلسيون بفن التوقيعات[1]، ولا شك أن الازدهار الذي شهدته الأندلس في شتّى مناحي الحياة في عصر بني أمية انتقلت آثاره إلى مختلف الفنون بما في ذلك فن التوقيعات، وقد كان الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350) معروفاً ببلاغته وتوقيعاته، ومن عنايته بالتوقيعات أنَّه قلّد الوزير الكاتب عبد الله الزجالي[2] في تنفيذ كل ما يخرجه من العهود والتوقيعات[3].

ولا شكّ أن الانهيار السياسي الذي أصاب الأندلس في القرن الخامس الهجري، وما نتج عنه من فسادٍ اجتماعي وانتشارٍ للترف والبذخ، وانصراف ملوك الطوائف ووزرائهم عن مصلحة الأمة إلى المظاهر الكاذبة، وانشغالهم بشرب الخمور، وارتكاب المعاصي، كان له دور فعّال في شيوع أدب الرسائل وتعدد موضوعاته، حيث صور الكتاب جوانب متعددة لتلك الحياة، وعبّروا عن الظروف النفسية الصعبة التي عاشها الشعب الأندلسي آنذاك[4].

5.1 شروط الكتابة وأركانها:

إنَّ كلمة كاتب تتجاوز الحد إلى كون الكاتب عقل الدولة المفكر ومشيرها المدبر، فهو بمثابة رئيس وزراء يلتقي فيه أمر التنظيم وفي الخليفة أمر التنفيذ[5]،

---

(1) التوقيعات هي ما يستعمل في كل كتاب يكتبه الملك أو من له أمر ونهي في أسفل الكتاب المرفوع إليه أو على ظهره أو في عرضه بإيجاب ما يسأل عنه أو منعه، انظر: جرار، صلاح؛ والدروبي، محمد، التوقيعات الأندلسية، منشورات جامعة آل البيت، 2000م، ص16.

(2) هو عبد الله بن محمد بن سعيد الزجالي، كان كاتباً للأمير عبد الله بن المنذر، وقد امتد به العمر إلى صدر دولة عبد الرحمن الناصر فكتب له إلى أن توفي سنة 302هـ، انظر: الحميدي، أبو عبد الله بن أبي نصر (ت: 488هـ)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، 1982م، ج2، ص32.

(3) جرار والدروبي، التوقيعات الأندلسية، ص37-39.

(4) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص143-144.

(5) شلق، علي، مراحل تطور النثر العربي في نماذجه، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1991، ص295.

وهذا ما يُفهم من قول عبد الحميد الكاتب: "وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون"[1]. فالكتاب إذن يحظون بمكانة سامية، فهم يشكّلون طبقة عالية بعد الأنبياء والمرسلين كما أشار إلى ذلك عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى الكتاب، إذ قال: "فإنَّ الله جل وعزّ جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين سوقاً... فجعلكم معشر الكتاب في أشرفها صناعة"[2].

وقد شغل الكتاب بشروط الكتابة حيث استحسنوا أن يكون الكاتب مقبول الصورة، سليم الجوارح، ذلك أنه كان يجالس الخليفة ويلازمه، لهذا لم يصل ابن شهيد إلى منزلة الكتابة عند المظفر بن أبي عامر رغم شوقه إلى بلوغ تلك المنزلة، إذ قعد به ثقل سمعه، كما قعد بالجاحظ إفراط جحوظ عينيه، وبأبي قاسم الإفليلي ورم أنفه[3]، وفي ذلك يقول ابن شهيد: "إذ لا بدَّ للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليه عينه، وأذن ذكية تسمع منه حسّه، وأنفٍ نقي لا تُذمّ أنفاسه عند مقاربته له"[4].

كما يجب أن يكون الكاتب ممكناً من عقله، فإنَّ العقل أسُّ الفضائل وأصل المناقب، فإذا كان تام العقل كامل الرأي وضع الأشياء في مكاتباته ومخاطباته مواضعها، وخاطب كلَّ أحد عن السلطان بما تقتضيه الحال التي يكون عليها"[5].

وقد أورد أبو الفضل الصوري -وهو أحد كتاب الإنشاء أيام القاضي الفاضل مجموعة من الصفات والآداب التي ينبغي للكاتب أن يتحلّى بها، فقال : "يجب أن يكون صبيح الوجه، فصيح الألفاظ، طلق اللسان، وقوراً، حليماً، مؤثراً

---

(1) عباس، إحسان، عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1988، ص282.

(2) المرجع نفسه، ص281.

(3) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص95.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص243.

(5) ابن الصيرفي، أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان (ت: 542هـ)، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، ط1، تحقيق أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، 1990، ص10.

للجد على الهزل، كثير الأناة والرفق، شديد الذكاء، متوقّد الفهم، حسن الكلام إذا حدّث، سريع الرضا، بطيء الغضب... وأن يكون محباً للشغل أكثر من محبته للفراغ"[1]، وأغلب هذه الصفات يكون الحظ فيها للملك أكثر منه فيهما له، لأنه كثيراً ما يراه الملك ويحاوره.

وإضافة إلى هذه الصفات التي ينبغي أن يكون عليها الكاتب، يذكر محمد بن إبراهيم الشيباني (ت: 564هـ) وهو أديب أندلسي من كتاب الولاة في قرطبة، صفاتٍ أخرى ينبغي لكل كاتب أن يتصف بها، ومن هذه الصفات: اعتدال القامة، وصغر الهامة، وخفة اللهازم[2]، وكثافة اللحية، وحلاوة الشمائل، وملاحة الزّيّ، كما يجب أن يكون عطر الرائحة، دقيق الذهن[3].

ومن الأمور التي يجب توافرها في الكاتب أن يكون ذا دين وورع وأمانة، وذلك لأنه حاز منزلة كبيرة يتحكّم بها في أرواح الناس وأموالهم[4]، وأن يكون مسلماً، فقد صحّ أنه لا يجوز أن يرقى إلى هذه الرتبة إلاَّ مسلم[5]، فلا يتخذ من يخرج عن دين الإسلام لهذه الصناعة لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ)[6]، كذلك ينبغي للكاتب أن يكون متمذهباً بالمذهب الذي عليه الملك، ليكون أنقى جيباً وأنصح يميناً، وعندما يكون الكاتب على مذهب الملك فإنه يكون مجتهداً في خدمته مبالغاً في نصيحته[7].

ومن الشروط الأساسية التي ينبغي توافرها في الكاتب، أن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى ولأحاديث الرسول r ، وأن يكون حافظاً لأشعار العرب راوياً لها،

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج1، ص139.

(2) مفردها لِهْزِمة وهي عظم ناتئ في اللحي تحت الأذن، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1956، ج12، ص343.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج1، ص100.

(4) ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، ص7.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ص95.

(6) سورة المائدة، الآية: 51.

(7) ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، ص9.

ولأخبار الملوك وأيام العرب والعجم، يقول ابن الصيرفي: "ويجب أن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى أو قيّماً بقراءته إذا قرأه، ويكون حافظاً لأخبار الرسول والأئمة من ذريته صلى الله عليهم أجمعين، راوياً لأخبار الملوك وأيام العرب ووقائعهم، ويجب أن يكون حافظاً للأشعار راوياً للكثير منها"[1].

وقد أكد ابن الأثير على ضرورة توافر هذه الشروط في معرض حديثه عن طرق تعلم الكتابة، إذ بيّن أهمية حفظ الكاتب لكتاب الله تعالى وأحاديث نبيه r ولأشعار العرب، ذلك أنَّ الكاتب أحوج ما يكون إلى هذه الثلاثة للاستشهاد بشيء منها، فعلى الكاتب "أن يصرف همّه إلى حفظ القرآن الكريم، وكثير من الأخبار النبوية، وعدة من دواوين فحول الشعر، ممن غلب على شعره الإجادة في المعاني والألفاظ، ثم يأخذ في الاقتباس من هذه الثلاثة -أعني القرآن والأخبار النبوية والأشعار- فيقوم ويقع، ويخطئ ويصيب، ويضل ويهتدي، حتى يستقيم على طريقة يفتتحها لنفسه"[2].

ولا شك أنَّ القرآن الكريم يحتاج من الكاتب تلاوة دائمة، ومواظبة لازمة لكي تتبيّن له المعاني، ذلك أنَّ كثرة التلاوة تطلع القارئ على معانٍ جديدة، وفي هذا المعنى يقول ابن الأثير: "وكنت إذا مررت بسورةٍ من السور يسنح لي في حل معان منها مآرب وأوطار، وأظن أني قد استوفيت ما أريده منها، ثم أتلوها بعد ذلك فتسنح لي معان غير تلك الأول، وكذلك كلما تجددت التلاوة تجددت معانٍ بعد معان"[3].

ومن يقرأ تاريخ الأندلسيين يدرك الأهمية الكبرى التي أولاها الأندلسيون للقرآن الكريم في تعليم الناشئة لديهم، إذ جعلوه أصلاً في التعليم، يقول ابن خلدون: "وأما أهل الأندلس، فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب[4] من حيث هو، وهذا هو الذي

---

(1) ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، ص11.

(2) ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير (ت: 636هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1939، ص76.

(3) ابن الأثير، الوشي المرقوم في حل المنظوم، ص26.

(4) أي يعلمونهم الكتابة من حيث هي على الإطلاق لا رسم المصحف فقط.

يراعونه في التعليم، إلاَّ أنَّه لما كان القرآن أصل ذلك وأسّه، ومنبع الـــدين والعلـــوم جعلوه أصلاً في التعليم"[1].

كذلك حرص الأندلسيون في تعليمهم لأبنائهم على رواية الشعر، يقول ابـــن خلدون: "ويخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب..."[2].

وأما الفصاحة والبلاغة فهما ركنان أساسيان لا غنى للكاتب عنهما، يقول ابن الصيرفي: "ويجب أن يكون من البلاغة والفصاحة إلى أعلى رتبة وأســـنى منزلـــة، بحيث لا يوجد أحد في عصره يفوقه في هذا الفن، فإنَّه لسان السلطان الذي ينطق به ويده التي يكتب بها"[3]، ولعلَّ المتتبع لطريقة تعبير الكتاب الأندلسيين عن المعـــاني يلحظ أنهم اعتمدوا على عدد من الأدوات لإخراج عباراتهم بأسلوب جميل مـــؤثر، كالخيال والصور البيانية وبعض المحسنات البديعية كالطباق والمقابلة[4]، فالخيال – مثلاً- كان عند الكتاب الأندلسيين مبنياً على التصوير البياني الذي يعتمد على إيراد الصور والتشهبيات والاستعارات المختلفة اعتماداً كبيراً[5]، وهذه الأدلة تكشف عن مدى فصاحة الكاتب الأندلسي وبلاغته التي طالما ظهرت جلية في سائر كتاباته.

ولكي يكون كلام الكاتب على شيء من البلاغة وقدر من الفصاحة، لا بد له من معرفة النحو والإشراف على لغة العرب ونوادر البلغاء وكلام الفصحاء.

وكان إحكام الخط وإقامة الحروف في الرسائل شرطاً أساسياً، ومما يؤكدّ ذلك الرسالة التي دبّجها ابن برد الأكبر عن المظفر بن أبي عامر[6] إلـــى ولاة الأقـــاليم حيث يقول: "وأن تكون صدور كتب الاعتراضات وعنواناتها وتواريخها والأعـــداد

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: 808هـ)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق علـــي عبـــد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ص1250-1251.

(2) المرجع نفسه، ص1251.

(3) ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، ص10.

(4) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص360.

(5) المرجع نفسه، ص362.

(6) هو عبد الملك بن المنصور محمد بن أبي عامر، ولي الحجابـــة ســـنة (392هـــ)، ولقـــب بالمظفر وسيف الدولة، توفي سنة (399هـ)، انظر: ابن خاقان، المطمح، ص177.

في رؤوس رسومها، خطوط أيدي القوّاد والعمال، من كان منهم كاتباً فبيده، ومن لم يكتب فبخطّ كاتب معروف، وأن تكون تسمية طبقات الأخبار فيها قائمة الخطوط بيّنة الحروف"[1].

وأكدّ ابن البطليوسي[2] في معرض حديثه عما يحتاجه الكتاب في صناعتهم، إلى حاجة الكاتب إلى تحسين خطّه وتقويم حروفه، إذ يقول: "فأبعد غايات كاتبنا أن يكون حسن الخط، قويم الحروف"[3] ومن أمثالهم في الخط: [الخط نصف الكتابة][4] وقالوا: [رداءة الخط قذىً في عين القارئ][5].

ومن الصفات التي ينبغي على الكاتب التحلـــي بهـــا فـــي عشـــرة الملـــوك والعظماء: الإخلاص والنصيحة والاجتهاد وكتمان السّر والشكر والوفاء والتمســـك بآداب الخدمة، وتخير الأوقات المواتية لخطاب مليكه والاقتصاد في اللباس[6].

وقد أشار ابن الأثير إلى الأركان التي لا بدّ من إيداعها في كل كتاب بلاغي ذي شأن، وهذه الأركان هي: أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة، فإنّ الكاتب من أجاد المطلع والمقطع، وأن يكون الدعاء المودع في صدر الكتاب مشـــتقاً مـــن المعنى الذي بني عليه، وأن يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطـــة،وأن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلولقة بكثرة الاستعمال، ثم ألا يخلو من معنى من معـــاني القرآن والأخبار النبوية، فإنها معدن الفصاحة والبلاغة[7].

---

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص106-107.

(2) أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (444-521) كان عالماً بالآداب واللغـــات متبحّراً فيهما، له عدة مؤلفات أشهرها الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، انظر: ابن بســـام، الذخيرة، ق3، م2، ص890، ابن خاقان، القلائد، ص708.

(3) البطليوسي، أبو محمد بن محمد بن السيد (ت: 521هـ)، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامـــة للكتـــاب، 1981، ج1، ص49.

(4) الكلاعي، إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، ص53.

(5) العبارة لابن برد الأصغر، ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص496.

(6) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج1، ص106.

(7) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص72-73.

والمتتبع لخطة الكتابة الأندلسية يلحظ أنّ الأندلسيين التزموا هـــذه الأركـــان، حيث كانوا يختارون كتاب الرسائل من أهل الأدب والثقافة، وممـــن ملكـــوا تقاليـــد البلاغة والفصاحة، واتصفوا بالملكة البيانية وغيرها من أدوات الكتابة(1).

ويرى الباحث من خلال تتبعه لرحلة الكتابة الأندلسية أنّ الكاتـــب الأندلســـي اتخذ من تلك الشروط نبراساً يستنير به في سائر كتاباته، فطرق جل فنـــون النثـــر العربي من رسائل وخطب وتوقيعات وحكايات وحكم ووصايا، فصـــاغ أحاسيســـه ومشاعره في نثر رائع طالما تناقلته الأجيال من بعده.

وتاريخ الأندلس شاهد على ظهور عدد كبير من الكتاب البلغاء الذين تركـــوا بصمات واضحة في تاريخ الأدب الأندلسي، وخير شاهد على ذلك ما تزخـــر بـــه مصادر الأدب الأندلسي، كالذخيرة والقلائد والمطمح والجذوة وغيرها، من شـــواهد حية تحكي سيرتهم وتشهد بفضلهم.

ومن الكتاب الذين أحرزوا صيتاً شهيراً الوزير الكاتـــب أبـــو جعفـــر ابـــن اللمائي(2) (465هـ)، قال عنه صاحب الذخيرة: "كان أحد أئمة الكتـــاب، وشـــهب الآداب، مَن سُخِّرت له فنون البيان، تسخير الجنّ لسليمان، وتصرّف فـــي محاســـن الكلام، تصرف الرياح بالغمام"(3)، ووصفه صاحب المطمح بأنه: "إمام مـــن أئمـــة الكتابة ومُفجّر ينبوعها، إذا كتب نثر الدرر في المهارق، ونمت فيها أنفاسه كالمسك في المهارق"(4).

---

(1) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص93.

(2) هو أحمد بن أيوب، عمل كاتباً لدى الناصر لدين الله علي بن حمود، عرض له داء النســـمة (ضيق النفس) لم يفارقه، حتى كان سبب وفاته سنة (465هـ)، انظر: ابن بسام، الـــذخيرة، ق1، م2، ص617.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص617.

(4) ابن خاقان، المطمح، ص209.

وكان أبو عبد الله بن عبد البر[1] (458هـ) من أهل الأدب البارع والبلاغة الرائعة، والتقدم في العلم والذكاء، عمل في بلاط المعتضد بن عباد ثم عزله، قال عنه صاحب القلائد: "بحر البيان الزاخر، وفخر الأوائل والأواخر، وواحد الأندلس الذي فاز فيها بحظّ الظهور، وحاز قصب السبق بين ذلك الجمهور"[2].

وأما أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم[3] (438هـ) فقد كان من بيت علم وأدب، وصفه ابن خاقان بأنه: "في الكتابة أوحد، لا ينعت ولا يُحدّ... إذا كتب وشّى المهارق ودبّج، وركب من بحر البلاغة الثبّج"[4].

ومن شعراء الدولة العبادية وأدبائها يطالعنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك (508هـ) الذي كان من أهل الأدب والفضل، ذكره ابن سعيد بقوله: "اسم وافق مسمّاه، ولفظ طابق معناه، فإنه سراج علم وأدب، وبحر لغة لسان العرب"[5].

وممّا تجدر الإشارة إليه أن ثقافة الكاتب الأندلسي لم تقف عند حدود الأدب فحسب، بل تجاوزت معرفته علوماً أخرى كعلوم الدين والفقه والتفسير والحديث والقراءات، يقول الحميدي في ترجمته لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر

(1) هو أبو محمد عبد الله بن الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، كان من أهل الأدب البارع والبلاغة الرائعة والتقدم في العلم والذكاء، عمل في بلاد المعتضد بن عباد غير أنه نقم عليه فاضطرّ إلى عزله، توفي سنة (458هـ)، انظر: ابن خاقان، القلائد، 538، ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص125.

(2) ابن خاقان، القلائد، ج2، ص538.

(3) هو الوزير الكاتب الشاعر أبو المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن حزم، أحد أبناء عم الفقيه محمد بن حزم، كان من المقدمين في الأدب والشعر والبلاغة، وقد شجر الأمر بين أبي المغيرة وابن عمه محمد بن حزم، وجرت بينهما هنات ظهر فيها أبو المغيرة وبكته حتى أسكته، توفي سنة (438هـ)، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص132.

(4) ابن خاقان، المطمح، ص202.

(5) ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (ت: 685هـ)، المغرب في حلى المغرب، ط3، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص116.

(462هـ): "فقيه حافظ مكثر، عالم بالقراءات وبالخلاف بالفقه، وبعلوم الحديث، ألّف مما جمع تواليف نافعة سارت عنه"[1].

ولم يقف حد الكتابة عند الرجال فحسب، بل نبغ عدد من النساء الكاتبات ، منهنَّ مزنة (358هـ) كاتبة عبد الرحمن الناصر، وكانت حاذقة من أخطّ النساء، ومنهنَّ لبنى (374هـ) كاتبة الحكم المستنصر، فقد كانت حاذقة بالكتابة، نحوية شاعرة، مشاركة في العلم، ومنهنَّ عائشة بنت حمد القرطبية (400هـ) وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر[2].

وشاركت المرأة في مهنة الوراقة، حيث ذكر المراكشي في المعجب أنه "كان بالربض الشرقي في قرطبة مئة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها"[3].

وبلغ من أهمية الكتابة في العصر الأندلسي نبوغ أسر كاملة في الكتابة، فقد شاعت الكتابة بين عدد من أفراد الأسرة الواحدة، كأسرة بني أمية بن يزيد التي كانت بيت الكتابة لبني مروان بالأندلس[4].

وكان الوزراء بنو القبطرنة[5] أسرة أصالة وبيت جلالة، وصفهم صاحب القلائد بقوله: "هم للمجد كالأثافي، وما منهم إلا موفور القوادم والخوافي، إن ظهروا زهروا، وإن تجمعوا تضوعوا، وإن نطقوا صدقوا"[6].

---

(1) الحميدي، جذوة المقتبس، ص586.

(2) جرار، صلاح، صلاة في أروقة الزهراء قراءة في المشهد الحضاري الأندلسي في القرن الرابع الهجري، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2003، ص56-57.

(3) المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت: 647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، الجمعية العربية المتحدة، لجنة إحياء التراث، ص456-457.

(4) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص92.

(5) هم الأخوة الوزراء الثلاثة الذين يعرفون ببني القبطرنة، وهم: أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي، وأبو محمد طلحة بن سعيد البطليوسي، وأبو الحسن محمد بن سعيد البطليوسي، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص753.

(6) ابن خاقان، القلائد، ص429.

وقد وصل الحد أن أصبحت الكتابة متوارثة يتوارثها الأبناء عن الآباء في الأسرة الواحدة، ومن ذلك ما ذكره ابن بسام في ترجمته لأبي عمر الباجي [1] إذ يقول: "وكان أبو عمر يوسف بن جعفر المعروف بابن الباجي من بلغاء الكتاب، وأغرب شأو جده الباجي في الولادة كلّ الإغراب، في صلة حبل البلاغة على جميع كتاب الإسلام، لأنه أنسل أربعة من حملة الأقلام وفرسان الكلام، أولهم جدّه يوسف، وابنه جعفر بن يوسف، وعبد الله ويوسف ابنا ابنه جعفر، ويوسف هذا هو المكنى بأبي عمر"[2].

وقد ذكره الأصفهاني في الخريدة بأنه "من الأئمة الفقهاء، والكتاب البلغاء، وله التصانيف الحسنة الشرعية والمؤلفات المرضية المرعية"[3].

وبلغ من عناية بعض الكتّاب الأندلسيين بكتاباتهم أنهم لا ينشئونها إلا بعد الجهد والتنقيح والتجويد، فكان أبو عمر أحمد بن محمد بن درّاج[4] واحداً من هؤلاء، يروى أن المنصور بن أبي عامر لما فتح شنت ياقب[5]، استدعى ابن درّاج

---

(1) هو أبو عمر يوسف بن جعفر الباجي، نسبة إلى باجة، وهي مدينة بالأندلس، كان فقيهاً جليل القدر، رحل إلى المشرق وحجَّ، وولي قضاء حلب، ثم عاد إلى الأندلس، فجلَّ قدره عند المقتدر بن هود ملك سرقسطة. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص186، ابن خاقان، القلائد، ص300.

(2) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق2، م2، ص186.

(3) الأصفهاني، العماد أبو محمد صفي الدين عبد الله محمد بن محمد (ت: 597هـ)، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: آذرتاش أذرنوش، الدار التونسية للنشر، 1971، ق2، ص313.

(4) هو أبو عمر أحمد بن دراج القسطلي من فحول شعراء الأندلس، وهو عندهم كالمتنبي بالمشرق، توفي سنة (421هـ)، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص59.

(5) شنت ياقب: قلعة حصينة في شمال الأندلس، الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1399هـ-1979م، ج3، ص368.

وأبا مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري[1]، وأمرهما بإنشاء كتب الفتح إلى الحضر وإلى سائر الأعمال، فأمّا ابن الجزيري فقال: سمعاً وطاعة، وأما ابن درّاج فقال: لا يتم لي ذلك في أقل من يومين أو ثلاثة، وكان معروفاً بالتنقيح والتجويد والتؤدة[2].

وقد نال بعض الكتاب من المال والجاه والشهرة ما تصبو إليه النفوس وتشرئب له القلوب، فالكاتب عبد الرحمن بن أسباط (487هـ) كان كاتباً منجباً، أقره أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كاتباً له فنال ما شاء ممّا ترتمي إليه الهمم، جاهاً ومالاً وشهرة، وكان رجلاً حصيفاً سكوناً، عاقلاً، مجدي الجاه شهير المكانة[3].

ومن الكتاب الذين تركوا بصماتٍ ظاهرة في تاريخ الكتابة الأندلسية، ابن زيدون[4] الذي وصفه صاحب المسالك بقوله:"كان أبو الوليد أحد من جرّ الأيام جرّاً، وفات الأنام طراً إلى أدبٍ ليس للبحر تدفقه، ولا للبدر تألقه... وحظ من النثر غريب المباني شعري المعاني"[5].

---

(1) هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري، كان من وزراء الدولة العامرية وكتّابها، وكان معدوداً في أكابر البلغاء في المنثور والمنظوم في وقته، وقد اعتقله المنصور بن أبي عامر مدة ثم رضي عنه وأطلق سراحه، توفي سنة (394هـ)، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص46.

(2) الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت: 599هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ط1، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة، بيروت، 1989، ج1، ص201-203.

(3) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت: 776هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975، ص235.

(4) هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي، كان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة، وبرع أدبه، ثم انتقل من قرطبة إلى إشبيلية وبقي فيها إلى وفاته سنة (462هـ)، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص336، ابن خاقان، القلائد، 209.

(5) العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت: 749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجلد 13/46، منشورات تاريخ العلوم العربية والإسلامية، 1988، ص4.

6.1 تأثر الكتَّاب الأندلسيين بالكتَّاب المشارقة:

لقد كان من أسباب تطور الكتابة في الأندلس تأثر الكتَّـاب بأسـاليب النثـر المشرقي، ومذاهبه الفنية كأسلوب عبد الحميد الكاتب الذي يعد مبتكر أدب الرسـالة الفنية في المشرق في أواخر العصر الأموي[1]، فالشخصية الأدبية الأندلسية كانـت تؤصّل قوتها الفنية على الأصول المشرقية[2]، حتى ليقول صاحب الذخيرة عن ذاك التأثر: "إلاَّ أنَّ أهل هذا الأفق، أبوا إلا متابعة أهل المشرق... حتى لو نعـق بتلـك الآفاق غراب أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما، وتلوا ذلك كتاباً محكماً"[3].

فالأدب الأندلسي إذن، وثيق الصلة بأدب المشرق، وهو امتـداد لـه، ومَـن يدرس أدب الأندلسيين يدرك حقيقة هذه العلاقة من خلال جوانب عدة.

ومن جوانب هذا التأثر تأثر الأندلسيين بطريقة الجاحظ الفنية، حيث تأثر ابن برد في رسالة (البديعة) برسالة الجاحظ التي كتبها على لسان سهل بن هارون، فابن برد يرد في تلك الرسالة على من عابه باستعمال جلود الشاء بأسلوب أشبه بأسلوب الجاحظ في الرد على من عاب سهل بن هارون بشدة الحرص والتدقيق في إنفـاق المال[4].

إنَّ هذا التأثّر يعد في جوهره محاولة من الأندلسيين لإيجاد قاعدة فكرية فـي بلادهم تعد امتداداً لما كان في المشرق، ليكون الأدب الأندلسي تعبيراً عـن شـعور أهله بالانتماء إلى الأصل، والرغبة في استمرارية الارتباط به[5].

---

(1) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص91.

(2) ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص318.

(3) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق1، م1، ص12.

(4) عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص467، ولمزيد من التفاصيل حول رسالة البديعة لابـن برد الأصغر، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص531-535.

(5) ثقفان، عبد الله بن علي، ظاهرة الانتماء في الأدب الأندلسي، مجلة دراسات أندلسية، العـدد الحادي عشر، 1994، ص64-65.

لهذا نجد دارس الأدب الأندلسي يشعر أنه أمام أدبين: أدب قوة وأدب معرفة، فالأول يمثل المشرق والثاني يمثل الأندلس، وأهل الأندلس يتعلّقون بكل ما هو مشرقي، ثقة منهم أن الحضارة قد نبعت من ذاك المكان، وتنفيذاً لحب قد زرعه الأجداد في نفوسهم[1].

ولا يعني هذا أن الأندلسيين وقفوا عند حدّ التأثّر بالأدب المشرقي، بل ابتكروا في بعض الأحيان جوانب جَديدة سبقوا المشارقة إليها، ففي أدب الرسائل وسّع الأندلسيون ميادينها، ومن ذلك أنه كان لرسالة عبد الحميد الكاتب في وصف الصيد أثر كبير في أدب الرسائل في الأندلس، إذ إنهم نقلوا موضوع الطرد من الشعر إلى النثر، وابتدعوا لوناً جديداً من الطرديات هو صيد البحر، وهو لون جديد لم يعرفه أدب الرسائل في المشرق[2].

إنَّ هذا التجديد في الأدب الأندلسي لم يكن قد تجاهل التراث الفكري للأمة، بل انطلق منه بهدف البدء بالتجديد من أبعد نقطة وصل إليها التراث، فالتراث مجال التجديد ومادته[3]، وبهذه الطريقة فإنَّ أهل الأندلس كانوا أكثر وفاءً للروابط التي تربطهم بالمشرق، حتَّى أنَّهم عندما يريدون وصف أديب أو شخص مثقف يبحثون فوراً في ذاكرتهم عن المشرقي الذي يمكن أن يقرن إليه، ويتجلى إعجاب الأندلسيين بالمشارقة في أنهم يحبون أن ينادوا أدباءهم بأسماء لأدباء من المشرق، فالأصمعي يقصدون به في الأندلس محمد بن سعيد الزجالي[4]، وابن خفاجة صنوبري الأندلس[5].

---

(1) ثقفان، ظاهرة الانتماء في الأدب الأندلسي، ص60.

(2) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص147.

(3) ثقفان، ظاهرة الانتماء في الأدب الأندلسي، ص65.

(4) هو محمد بن سعيد من برابر تاكرونا، كان يلقّب بالأصمعي لذكائه وحفظه، استكتبه عبد الرحمن الأوسط المتوفى سنة (238هـ)، واستوزره محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة (273هـ)، انظر: ابن خاقان، المطمح، ص236.

(5) بيريس، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص50-51.

لقد كانت الحركة العلمية في الأندلس متناسقة مع ما يجري في المشرق، وكان علماء ذوو شأن يفدون إلى الأندلس أو يستقدمون، ولا يُنسى في هذا الجانب أثر أبي علي القالي البغدادي، وما أضافه من جوّ علمي وثقافي عام في جوانب اللغة والنحو والأدب وغيرها، وما خرّج من تلامذة[1].

إنَّ طوابع الحياة الأدبية في الأندلس –من الوجهة العامة- هي نفس طوابع المشرق، وإن ظهر اختلاف ففي الفروع لا في الأصول، فإنَّ الأصول كانت أقوى من أن تتأثر بالفوارق الإقليمية، وقد كتب ابن شهيد رسالة التوابع والزوابع [2] وعرض فيها لشياطين الشعراء والكتَّاب الذين أجازوه، وكلهم من شعراء المشرق وكتابه[3].

لقد تأثر –إذن- الكتَّاب الأندلسيون بالرسائل الرائعة التي ابتدعها عدد من كتاب المشارقة من أمثال: سهل بن هارون، والجاحظ وبديع الزمان الهمذاني وغيرهم، والتي انتقلت فيما بعد إلى الأندلس واستقوا من تلك الرسائل، حتى تمكنوا من ابتكار ألوان جديدة من الرسائل كان لهم فضل السبق فيها، كرسائل الشوق والوجد الديني لزيارة قبر الرسول r وتأدية فريضة الحج[4].

---

(1) الداية، محمد رضوان، في الأدب الأندلسي، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2000، ص46.

(2) رسالة التوابع والزوابع، قصة خيالية يحكي فيها ابن شهيد رحلة قام بها إلى عالم الجن برفقة تابع له، وقد التقى خلالها بتوابع الشعراء والكتاب، فساجلهم وساجلوه، وناقشهم وناقشوه، وعرض عليهم أثناء ذلك بعض آرائه في الأدب واللغة وكثيراً من إنتاجه الشعري والنثري، فنال إجازتهم بالتفوّق وانتزع إعجابهم، وقد بثَّ فيها إلى جانب ذلك طرفاً من السخرية والفكاهة. انظر: القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص123؛ ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص323؛ عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص484.

(3) ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص318.

(4) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص147.

الفصل الثاني
أثر المعاني القرآنية

إن الاقتباس من القرآن الكريم سِمة اتسم بها النثر الأندلسي في بناء القطعة النثرية، ويلاحظ أن تلك الظاهرة تكاد تغطي جميع الموضوعات النثرية التي عالجها الكتاب آنذاك، بما فيها موضوعات الهجاء والفكاهة والمقامات وغيرها[1].

وقد كان لثقافة الكاتب الأندلسي الدينية أثر واضح في تكوين شخصيته الفكرية والثقافية، كما كان لهذه الثقافة أثر في تناول المعاني والموضوعات القرآنية، التي وجدت طريقها إلى نفسه التي تربت على روح القرآن الكريم، ودرجت على منهجه، لهذا فقد اعتمد على المصدر القرآني واستلهم معانيه وجسدها في كتاباته.

والمعاني القرآنية كثيرة ومتعددة، يتعذر الإحاطة بها والحديث عنها بشكل تفصيلي، وقد آثرت الدراسة أن تتناول أبرز هذه المعاني وأكثرها حضوراً في النثر الأندلسي، لإثبات اعتماد الكتاب الأندلسيين على المصدر القرآني، واستلهامهم لمعانيه في شتى كتاباتهم، ومن أبرز المعاني التي تناولها الكتاب:

1.2 أسماء الله تعالى وصفاته:

معلوم أن القرآن الكريم هو المثل الأعلى للبيان العربي، يضاف إلى هذا قدسية آيه ومعانيه في نفوس المسلمين[2]، وكان نزوله معجزة أذهلت العرب جميعاً، لأنهم وجدوا فيه بياناً رائعاً، وروعة أخذت ألبابهم وسحرت قلوبهم مؤمنين وكافرين[3]، وقد استمد الكتاب الأندلسيون كثيراً من المعاني القرآنية، كانت أسماء الله تعالى وصفاته في طليعتها، فقد تناول هؤلاء الكتاب تلك الأسماء، ووظفوها في

---

(1) خضر، حازم عبد الله، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ط1، دار الشروق، عمان، 1988، ص283.

(2) ابن الأثير، الوشي المرقوم في حل المنظوم، ص17.

(3) الصفار، ابتسام مرهون،أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري ، ط1، مطبعة اليرموك، بغداد، 1974م، ص3.

رسائلهم وسائر كتاباتهم توظيفاً يكشف جانباً من ثقافتهم وتفكيرهم في ظلال القرآن الكريم، والسور القرآنية التي وردت فيها أسماء الله تعالى كثيرة، منها سورة الحشر في قوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(1).

وقد علمنا القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كيفية الإيمان بوحدانية الله تعالى في ذاته وفي صفاته(2)، يقول تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(3) ويقول سبحانه: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)(4).

ولما كان الكتاب الأندلسيون على صلة دائمة بالقرآن الكريم، فقد استمدوا هذه الأسماء وتلك الصفات، ووظفوها في رسائلهم، فاسم الله تعالى يتردد كثيرا في كتاباتهم، ففي إحدى رسائل التعازي التي كتبها الوزير أبو بكر بن عبد العزيز (5)

(1) سورة الحشر، الآيات 22-24.

(2) يقول r في الحديث: "اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني وذهاب همي" انظر: عبد الحميد، محيي الدين، أدعية الهم والغم والكرب والحزن، ط1، دار القادسية للنشر والتوزيع، جدة، 1415هـ–1995م، ص17.

(3) سورة الأعراف، الآية: 180.

(4) سورة الإسراء، الآية: 110.

(5) هو محمد بن هشام بن عبد العزيز بن محمد بن سعيد الخير، أديب مشهور بالتقدم في الأدب من بني مروان، توفي ببلنسية سنة (456هـ)، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص40؛ القلائد، ص171.

يقول: "فرع والله من الفضل ذوى وإلى الله الشكوى"[1] فقوله إلى الله الشكوى فيه إشارة إلى الآية الكريمة: (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ)[2] وهي الآية التي تشير إلى موقف يعقوب والد يوسف عليهما السلام في قصته مع أبنائه[3]، فقد استلهم المعنى في الآية الكريمة وصاغه في صورة لفظية جديدة، وفي سياق معنوي شبيه بالسياق الذي وردت فيه الجملة القرآنية.

وفي الرسالة التي كتبها أبو عبد الرحمن بن طاهر[4] إلى الوزير أبي عبد الملك بن عبد العزيز، نجده يحمد الله تعالى على تمكينه المسلمين من استعادة بلنسيه[5] من الأعداء، وفي ذلك يقول:فالحمد لله مالك الملك، مطهرها من الشرك"[6].

فالأثر القرآني يبدو واضحا في عبارته المستمدة من قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء)[7]. فقد وظف اللفظة القرآنية "مالك الملك" توظيفاً ينسجم مع خطابه.

---

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص81.

(2) سورة يوسف، الآية: 86.

(3) لمزيد من التفاصيل حول قصه يوسف u ، انظر: إسماعيل، محمد بكر، قصص القرآن من آدم u إلى أصحاب الفيل، ط1، دار المنار، القاهرة، 2003 م، ص90.

(4) هو محمد بن أحمد بن إسحاق بن زيد بن طاهر القيسي، تغلب على مرسية وظل يحكمها إلى أن غلبته الفتن، وجّه إليه المعتمد بن عباد جيشا بقيادة وزيره ابن عمّار وقائده ابن رشيق، ففر ابن طاهر إلى بلنسية وتوفي سنة (507هـ)، انظر:ابن خاقان، القلائد ، ص170، ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق1، م1، ص24.

(5) بلنسيه: مدينه مشهورة بالأندلس، تقع شرق قرطبة، وهي بريه بحريه ذات أشجار وأنهار وتعرف بمدينه التراب، انظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص490.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص102.

(7) سورة آل عمران، الآية: 26.

وفي رقعة خاطب بها الوزير الكاتب أبو المطرف عبد الرحمن بن فاخر المعروف بابن الدباغ[1] جماعة من إخوانه، يقول فيها: "وتعوذت برب الفلق من نافث عقدكم والله ولي الكفاية بفضله"[2] وهذه الاستعاذة -بلا شك- مستمده من قوله تعالى (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)[3].

وهذا ابن شهيد يوقن بأنَّ الخطايا والآثام تذهب ويبقى وزرها، ويؤكد أنَّ المآل إلى الله تعالى الذي يجزي كل نفس ما كسبت، حيث يقول: "فإن المرجوع للعليم الحكيم رب العرش العظيم"[4] فهذا المعنى مستمد من قوله تعالى في سورة هود: (إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[5]، ويلاحظ أن الكاتب قد لجأ إلى تحوير[6] التعبير القرآني تحويراً تناسب مع طبيعة خطابه الأولي.

وليس أدل على توظيف الكتاب الأندلسيين لأسماء الله تعالى، من فصول التحميدات التي طالعنا بها أبو حفص بن برد الأصغر، الذي كان يكثر من الثناء على الله عز وجل - بعده حمده سبحانه- بصفاته الجليلة، ومن ذلك قوله:" الحمد لله اللطيف الخبير العالم بذات الصدور، الذي يطلع على الإصرار... ويعلم خفي

(1) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن فاخر بن الدباغ، نشأ في سرقسطة وترعرع فيها، اشتهر بالبلاغة والفصاحة، فأعلى أمير بلاده المقتدر بن هود مكانه وقربه إليه، وقلّده الوزارة والكتابة، إلا أنه حدثت جفوة بينه وبين المقتدر بن هود اضطرته إلى الفرار إلى إشبيلية ثم عاد إلى سرقسطة وقتل فيها، انظر: ابن خاقان، القلائد، ص314، ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص251.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص284.

(3) سورة الفلق، الآيات: 1-4.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص227.

(5) سورة هود، الآية: 4.

(6) التحوير: تقنية فنية يدخل بها الكاتب على النص القرآني مجرياً عليه بعض التغييرات التي تجعله ملائماً للسياق الأدبي، انظر: الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص528.

الأسرار، الحي الذي لا يدركه الموت والدائم الذي لا يلحقه الفوت، والفرد الذي ليس له نظير والصمد دون ولي ولا ظهير"[1]. إن هذه المعاني مستمده من آيات كريمة، منها قوله تعالى: (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[2] وقوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ)[3] وقوله تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ)[4] وهي كذلك تدل على سعه ثقافة ابن برد القرآنية وقدرته على تسخير هذه الثقافة في خدمه أفكاره.

وقد ظهر في رسائلهم ما يشير إلى قدره الله تعالى في التصرف في الكون، ومن سمات هذه القدرة ودلائلها إجلاء الكروب، وتفريج الهموم والمصائب، وإقالة العثرات وإبدال النعم بعد النقم[5]، يقول ابن برد: "الحمد لله جالي الكرب السود، وفاتح المبهم المسدود، الذي أقال العثرات وأدال من الحسرات وانتاش من البأساء وأعقب بالنعماء وأراح من جهد البلاء"[6] إن هذه التحميدات لها معان كثيرة في القرآن الكريم نذكر منها قوله تعالى: (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)[7] وقوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)[8].

2.2 عالَم الغيب:

لقد تناول الكتاب الأندلسيون موضوعات تتعلق بعالم الغيب، كالحديث عن الملائكة والجن والشياطين، والإنسان -بعلمه القاصر- لا يعلم من أمر هذه العوالم

---

(1) ابن بسام، الذخيرة ق1، م1، ص492.

(2) سورة الملك، الآيتان: 13-14.

(3) سورة الإخلاص، الآيتان: 1-2.

(4) سورة الفرقان، الآية: 58

(5) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص193.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص492.

(7) سورة الطلاق، الآية: 7.

(8) سورة الشرح، الآية: 6.

إلا ما علمه القرآن الكريم، من هنا جاء حديثهم عن هذه المعاني مستمداً من ثقافتهم القرآنية التي طالما شقت طريقها إلى نفوسهم وتدبروها بعقولهم.

فالملائكة الذين قُرن الإيمان بهم بالإيمان بالله سبحانه[1]: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ)[2] يتكرر ذكرهم على ألسنه الكتاب الأندلسيين، ففي رسالة خاطب بها أبو محمد غانم بن وليد المخزومي[3] بعض إخوانه بغرناطة جاء فيها: "ومما أغفلته بقله اليقظة، وسألت الله ألا تكتبه علي الحفظة"[4] فالحفظة هم الملائكة الذين وكلهم الله تعالى بكتابه أعمال الخلائق، فيحصونها لهم ويكتبونها في صحائفهم[5]، والكاتب يستمد هذا المعنى من قوله تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ)[6] إن دعاء أبي محمد هذا، والأمل الذي يحدوه في عدم تسجيل ذنبه من قبل الملائكة، يكشف عن التربية القرآنية التي طالما نشأ عليها وتأثر بها.

وتتردد كلمة الملائكة مع القرائن اللفظية الواردة معها في القرآن الكريم، فالوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن مسلم[7] يقول في إحدى رسائل وصف

---

(1) شراد، شلتاغ عبود، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1987، ص30.

(2) سورة البقرة، الآية: 285.

(3) فقيه مقدم، وأستاذ في الآداب وفنونها، من أهل مالقة توفي سنه 470هـ، انظر: ابن خاقان، القلائد، ص608.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص855.

(5) الجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العليِّ الكبير، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1423هـ–2002م، ص1735.

(6) سورة الانفطار، الآيتان: 10-11.

(7) هو عبد الله محمد بن مسلم، قال ابن بسام في وصفه أنه آية الزمن، ونهاية الفطنة واللسن، نفث بالسحر، واغترف من البحر، ونظر الدرر بلآلاء من الدر، وقد كان رسولاً إلى بعض ملوك الطوائف عن إقبال الدولة بن مجاهد حين نازعه المقتدر أحد الحصون، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص427.

الرحلات التي سمّاها "طي المراحل"[1] وخاطب بها صاحب ميورقة[2]: "ثم جئنا إلى المسجد الجامع، فرأيت بنياناً بديعاً، وإيواناً رفيعاً.... فكأنما أرسته عاد، أو بنته ملائكة غلاظ شداد"[3] فقوله: "ملائكة غلاظ شداد" مستمد من قوله تعالى في سورة التحريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ)[4] فقد استطاع توظيف العبارة القرآنية (ملائكة غلاظ شداد) ليجعلها متممة من المتممات المعنوية لجملته[5].

ولم تقف ثقافة الكاتب الأندلسي عند حد التأثر المباشر بآيات القرآن الكريم، بل استفاد من الصور القرآنية وجسدها بأسلوب تعبيري رائع، يكشف عن مدى ثقافته وحسن توظيفه للمعاني القرآنية التي تناولها، ففي الرسالة التي خاطب بها الوزير الكاتب أبو محمد بن القاسم[6] أبا نصر الفتح بن خاقان يقول: "رويدك أبا

---

(1) هي قصة تطواف ينتقل فيها الكاتب من مدينة إلى مدينة، ومن حوزة أمير إلى حوزة أمير آخر، ويبدو أنه كان رسولاً إلى بعض ملوك الطوائف عن إقبال الدولة من مجاهد العامري حين نازعه المقتدر بن هود أحد الحصون، كما يشير في تلك الرسائل إلى القلق الذي كان يحمل صاحبه على مغادرة الوطن، فيطرق أبواب المدن واحدة بعد أخرى. انظر: القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص263؛ عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص299.

(2) ميورقة: جزيرة في البحر الزقاقي، تقع شرقها جزيرة سودانية فتحها المسلمون سنة 290هـ، وتغلب عليها الصليبيون سنة 508 هـ، انظر:الحموي، معجم البلدان ، ج5 ص246.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص442.

(4) سورة التحريم، الآية: 6.

(5) القيسي، فايز، خطاب المقام النبوي والروضة الشريفة في نثر لسان الدين بن الخطيب، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مجلد2، عدد1، 2006، ص177.

(6) هو أبو محمد، عبد الله بن يُمن الدولة محمد بن عبد الله بن قاسم من بني قاسم أمراء إقليم البونت، وقد خضع بنو قاسم إلى ملك قشتالة إلى أن استولى المرابطون على إمارتهم مع نهاية القرن الخامس الهجري، وهاجر هو إلى المغرب فقضى فيها بقية حياته، انظر: ابن خاقان، القلائد، ص377.

النصر، فما سميت فتحاً لتفتح علينا أبواب المعجزات، ولا ملئت سرواً لترتقي علينا إلى الأنجم الزهرات فتأتي بها قبيلا"[1] فعبارة تأتي بها قبيلا، مستمدة من قوله تعالى: (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً)[2] ذلك أنَّ المشركين طلبوا من الرسول r بأن يحقق لهم معجزات، كان من ضمنها ما تضمنته الآية وهي قولهم "لن نؤمن بدعوتك يا محمد حتى تأتي بالله والملائكة قبيلة قبيلة لنراهم معاينة"[3]، فالمعنى القرآني يبدو حاضراً في ذهن أبي محمد حتى وظَّفه توظيفاً ملائماً لطبيعة نصه.

أما الجن، فإنهم من العالم اللامرئي الذي تناوله الكتاب الأندلسيون في رسائلهم، ففي ترجمة صاحب الذخيرة للوزير الكاتب أبي جعفر ابن اللمائي يقول: "وكان أبو جعفر هذا أحد أئمة الكتاب، وشهب الآداب من سخرت له فنون البيان، تسخير الجن لسليمان"[4].

ومعلوم أنَّ الله تعالى سخر لسليمان u الجن، لذا فحديث ابن بسام مستمد من قوله تعالى: (وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ)[5] فالكاتب تأثر بالأسلوب القرآني وتصرَّف بالجملة القرآنية من حيث صياغتها بطريقة مغايرة لطريقة ورودها في القرآن الكريم.

وتتجلى براعة الكاتب الأندلسي بقدرته على تطويع النص المقدس لخدمة فكرته مع الإفادة من السمات الأسلوبية التي يبنى عليها هذا النوع من النصوص[6]، ففي رسالة خاطب فيها الوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن مسلم صديقه أغلب صاحب ميورقة، وقص عليه قصصاً في بعض أسفاره قال: "لما صفا الحصن

---

(1) ابن خاقان، القلائد، ص379.

(2) سورة الإسراء، الآية: 92.

(3) الجزائري، أيسر التفاسير، ص819.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص617.

(5) سورة سبأ، الآية: 12.

(6) الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص22.

الفلاني إلى من أيده الله، أجلب عليه المقتدر بخيله ورجله[1]، وأحدق حوله بضبطه ومنعه، حتى صار كالسماء ملئت حرساً شديداً وشهباً"[2] فقوله: حتى صار كالسماء ملئت حرساً شديداً وشهباً مستوحى من قوله تعالى في سوره الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[3] وفي التفسير أنَّ الجن كانوا يسترقون أخبار السماء فوجدوها ملئت بالملائكة الأقوياء الذين يحرسونها، وبالشهب النارية التي ترمي كل من يسترق السمع[4]، فقد نقل الكاتب الجملة القرآنية بنصها، وطوعها في خدمة نصه بطريقة تلائم خصائص السياق الأدبي.

ومن المعاني التي كثر حضورها في خواطر الكتاب الأندلسيين تلك التي تتعلق بالنوع الثاني من جنس الجن، وهم الشياطين، حيث تناول الكتاب هذا المعنى ووظفوه في رسائلهم بأسلوب ينسجم مع طبيعة الموقف والسياق الذي يؤدَّى به. ففي رسالة[5] أوردها صاحب الذخيرة، تدور حول قتل المعتضد لابنه إسماعيل يقول كاتبها: "إلى أن علق به من أغواه من شياطين الإنس فزين له زخرف الغرور والفسوق"[6] فهذه العبارة -بلا شك- مستمدة من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[7]، فقد استطاع الكاتب الذي تعلق بأساليب القرآن الكريم أن يستلهم طرائقه التعبيرية ويفيد منها طاقات إيحائية تدل على سعة ثقافته الدينية، وقدرته على توظيفها ببراعة.

---

(1) فيها اقتباس قرآني من قوله تعالى ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ سورة الإسراء، الآية: 64.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص429.

(3) سورة الجن، الآية: 8.

(4) الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص1687.

(5) الرسالة مجهولة القائل، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص161.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص162.

(7) سورة الأنعام، الآية: 112.

وجاء في رسالة الوزير الكاتب أبي حفص بن برد الأكبر إلى جماعة العبيد قوله: "فإن يكن الشيطان قد نزغ بما نزغ به بين بني آدم فمن بعدهما من ذريته"[1] فالشيطان سبب إفساد العلاقة المجتمعية، وقد حذر ربنا سبحانه منه (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ)[2]، وفي معرض قصة يوسف يصور القرآن الكريم مشهد لقاء يوسف u بأبويه (وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)[3] فالكاتب ابن برد يستحضر في وجدانه تلك الشواهد القرآنية ويوظف مدلولاتها في خدمة رسالته لتكون شاهداً حياً على عمق العلاقة مع القرآن الكريم.

3.2 الجنة والنار:

لقد نشأ الكتاب الأندلسيون في بيئة كان القرآن الكريم فيها رافداً مهماً، فاستمد هؤلاء قواعد حياتهم منه، وتأثروا بمعانيه وألفاظه، ومن الموضوعات القرآنية التي تنوعت أساليبها في القرآن الكريم: موضوع الثواب والعقاب (الجنة والنار) إذ تأثر الكتاب به، فالجنة أثارت مشاعر وأحاسيس الكاتب الأندلسي، وترددت كثيراً في رسائله، إما بلفظها وإما بنعيمها، ففي إحدى رسائل أبي عبد الله محمد بن مسلم التي خاطب بها صاحب ميورقة، يتراءى نعيم الجنة أمام أعين الكاتب متأثراً بالأسلوب القرآني، إذ عبر عن ذاك النعيم تعبيراً فنياً يكتنز في جوفه من طاقات الإيحاء ما يشهد له بالقدرة على الإفادة من النص المقدس في تحقيق غاياته وخدمه أفكاره ضمن معطيات السياق الأدبي[4]، يقول أبو عبد الله:" حتى وصلنا إلى دار منفرجة الأقطار... كأن مياهها تنبعث من بنان سيدها، فصارت عيناً سلسبيلاً، وكان مزاجها زنجبيلاً... ونظرنا في صدره من الملك الهمام، وأخذنا

---

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص111.

(2) سورة الإسراء، الآية: 53.

(3) سورة يوسف، الآية: 100.

(4) الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص521.

مراتب القعود إلى الطعام، يطاف علينا بصحاف من فضة وذهب... ووضئنا بماء قوامه بلور ومزاجه كافور"[1] فقوله: صارت عيناً سلسبيلاً وكان مزاجها زنجبيلاً، مستمد من قوله تعالى في وصف نعيم الجنة: (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا)[2] وقوله: يطاف علينا بصحاف من فضة وذهب، فهي إشارة لقوله تعالى: (وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا)[3]، وأما قوله: ومزاجه كافور، فمستمد من قوله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا)[4] لقد استطاع ابن مسلم أن يطوع النص القرآني المتعلق بنعيم الجنة في خدمة أفكاره، إذ التزم نسقاً تركيبياً، يتوافق أحيانا مع نص الآية الكريمة من خلال حل الآيات الكريمة وإعادة نثرها من جديد.

وفي ترجمة الفتح بن خاقان صاحب القلائد للمعتمد بن عباد، يذكر أنَّ الأديب أبا بكر بن اللبانة[5] زار المعتمد في سجنه، فصوَّر ذلك المشهد بقوله: "فلمَّا رآه وحلقات الكبل قد عضت بساقيه عضَّ الأسود... بعدما عهده فوق منبر وسرير ووسط جنة وحرير... ندبه بكل مقال يلهب الأكباد"[6] فقد نقل العبارة القرآنية (جنة وحريراً) الواردة في قوله تعالى: (وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا)[7] آخذاً بعين الاعتبار مدى مناسبة النص المقتبس بحرفه للموقف الذي يتحدث عنه[8]، مستمداً من

---

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص432.

(2) سورة الإنسان، الآيتان: 17-18.

(3) سورة الإنسان، الآية: 15.

(4) سورة الإنسان، الآية: 5.

(5) هو أبو بكر محمد بن عيسى الداني توفي بميورقة سنه 507، انظر:ابـن خاقـان، القلائـد ص776، ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص666.

(6) ابن خاقان، القلائد، ص103.

(7) سورة الإنسان، الآية: 12.

(8) القيسي، خطاب المقام النبوي والروضة الشريفة في نثر لسان الدين ابن الخطيب، ص177.

ذوقه الجمالي صوراً رائعة جعلت من عباراته أنموذجا يحتذي به في وصف نعيم الجنة.

وتظهر براعة الكاتب الأندلسي في أسمى معانيها حينما يستعمل أسلوب حل الآيات الكريمة وإعادة نثرها من جديد، لتظل الآيات أسيرة النص المحلول، فتحافظ على تعبيراته الرئيسة، ونسقه التركيبي العام[1]، يقول أبو جعفر بن أحمد[2] في رسالة بعث بها للمعتمد بن عباد عندما انتقل إلى قصور إشبيلية:" والله يا سيد القصور، وبهجة الدهور ما تقرر لك لدي، وقُصَّ عنك إلي، من محاسن أحرزتها صفتك، وفسرتها جملتك من تحلّيك بوجهين على منصبين... كلاهما محاسنه فائقة، وبساتينه رائقة... فأنت في ظل ممدود وطلعٍ مخضود وطلحٍ منضود.."[3]، لا يخفى على أحد أن الكاتب تأثَّر بالآيات الكريمة الماثلة في قوله تعالى: (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ)[4].

وأما حديثهم عن النار -أعاذنا الله منها– فقد جاء بأسماء ومعانٍ مستمدة من القرآن الكريم. ففي حديث ابن بسام صاحب الذخيرة عن المعتمد بن عباد، ودخوله مالقة[5] وانصرافه عنها، يقول: "كان أهل مالقة إذا جرى ذكر عباد ارتاحوا إليه ارتياح الغصون تحت النسيم، ورفعوا أصواتهم بالصلاة عليه والتسليم، هذا ما كان يقذي عيونهم من قبح آثاره، ويلفح وجوههم من وهج ناره"[6]، فالعبارة الأخيرة "يلفح

---

(1) الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص530.

(2) هو أبو جعفر أحمد بن أحمد الداني، ذكر ابن بسام أنَّ له إحساناً كثيراً ومنظوماً ومنثوراً، وشهد له بفضل براعته، انظر: ترجمته في ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص757.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص763.

(4) سورة الواقعة، الآيات: 27-30.

(5) مالقة: مدينة بالأندلس من أعمال ريةوهي على شاطئ بين الجزيرة الخضراء والمرية، وكانت عامرة آهلة كثيرة الديار، وقد أحاط بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إليها، انظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص43.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص49.

وجوههم من وهج ناره" تأثر فيها الكاتب بقوله تعالى: (تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ)[1] إذ لجأ إلى تحوير التعبير القرآني تحويراً طفيفاً يناسب طبيعة الموقف الذي يتحدث عنه.

وفي ترجمه الفتح بن خاقان للوزير الكاتب أبي بكر بن قزمان[2]، وحديثه عن أخلاقه يقول:" فإنها كانت تحتدم في جوانحه احتدام القيظ، وتكاد تميز من الغيظ"[3] فقد لجأ الكاتب إلى اقتباس الآية الكريمة المتمثلة في قوله تعالى: (تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ) اقتباساً نصياً تعانق مع سياقه الحقيقي، فأغنى بذلك الفكرة المطروحة وساهم في تشكيل بناء فني جديد لنصه، ولعل هذه الفكرة تتفق مع آراء بعض الباحثين الذين تناولوا مصطلح التناص باعتباره خروج من النص إلى نصوص أخرى غائبة يجب استحضارها ليكتمل النص الحاضر[4].

ويتفنن الكتاب في تناول هذا المعنى بألفاظ قرآنية أخرى، ومن ذلك ما جاء في إحدى رسائل أبي جعفر بن أحمد التي كتبها إلى قوم من النصارى حيث يقول: "وإنَّ الذي بينكم وبين الهلكة لأقصر من إبهام الحبارى في يوم ترون فيه سكارى، وما أنتم بسكارى[5]، ولكن عذاب الله الواقع، وسخطه الذي ما لكم عنه دافع"[6] فالكاتب يستحضر قوله تعالى: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ)[7] فعمد إلى استلهام المعنى القرآني وأعاد صياغته على نحو آخر، أدى وظيفة فنية تمثلت في اللغة والأسلوب والبناء.

---

(1) سورة المؤمنون، الآية: 104.

(2) هو محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان، من أهل البلاغة والبيان، وقد ذكر أن المتوكل صاحب بطليوس أول من اتخذه كاتباً، وساءت حياته لتوعّر أخلاقه في آخر عمره، تــوفي سنة 508هــ، انظر: ابن خاقان، القلائد ص555.

(3) ابن خاقان، القلائد، ص555.

(4) الزعبي، أحمد، التناص نظرياً وتطبيقياً، ط1، مكتبه الكتاني، اربد، 1993، ص6.

(5) اقتباس من قوله تعالى: (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى) سورة الحج، الآية: 2.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص768.

(7) سورة المعارج، الآيتان1-2.

4.2 الجهاد:

لقد تفاعل الكتَّاب الأندلسيون مع الأحداث والنكبات التي حلت بالمدن الأندلسية، فكانت كل مدينة تسقط تثير مشاعر الحزن والأسى في نفوسهم، فيعبرون عنها برسائلهم، مستنهضين أمراء الطوائف والمسلمين كافة لإنقاذ الإسلام من الخطر الذي يتهدده(1).

ومن ذلك الرسالة التي كتبها ابن عبد البر على لسان أهل بربشتر(2) عندما سقطت بيد الإسبان سنة (456هـ) ووجَّهها إلى المسلمين في جميع أنحاء الأندلس، يستثير هممهم لنصرة إخوانهم في بربشتر، حيث يقول:" فيا ويلاه، ويا ذلاه، ويا كرباه، ويا قرآناه، يا محمداه.... فقد ندب الله مسلمي عباده إلى الجهاد في غير ما آية من الكتاب، يضيق عن نصها الخطاب... فالله الله في إجابة داعينا، وتلبية منادينا"(3) لقد أشار الكاتب إلى الآيات القرآنية الكريمة التي تدعو إلى الجهاد وترغب المسلمين فيه، وذلك في قوله: ندب الله مسلمي عباده إلى الجهاد في غير ما آية من الكتاب، ومن هذه الآيات قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ)(4) وقوله تعالى: (وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ)(5) وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ

---

(1) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص177.

(2) بربشتر: من أمهات الثغور الأندلسية الحصينة، تقع شمال سرقسطة،وقد تعرضت لمحنة شديدة عندما استولى عليها الصليبيون سنه 456هـ، وقتلوا أهلها ونهبوا خيراتها، وفي سنة 457هـ استطاع أحمد بن هود أمير سرقسطة أيستردها، ومنذ ذلك الوقت تسمّى بالمقتدر، انظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص370.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص177- 178.

(4) سورة الصف، الآيتان: 10-11.

(5) سورة التوبة، الآية: 41.

وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [1] فقد اتكأ الكاتب على تقنية التلميح، فذكر الجهاد من غير ذكر شيء من الآيات الصريحة الدالة عليه، معمماً فكرته على جميع الآيات الداعية إلى الجهاد بقوله: في غير ما آية من الكتاب، وهذا الأمر يكشف عن سعة الثقافة القرآنية التي تلقاها ابن عبد البر.

كذلك نجد الدعوة إلى الجهاد في الرسالة التي كتبها أبو عبد الله محمد بن أيمن[2] على لسان المتوكل بن الأفطس[3] يمتدح فيها يوسف بن تاشفين، ويحرك في نفسه نوازع الخير والجهاد حيث يقول: "فيا لله ويا للمسلمين! أيسطو هكذا بالحق الإفك، ويغلب التوحيد الشرك، ويظهر على الإيمان الكفر... وما هو إلا نفس خافت، ورمق زاهق، إن لم تبادروا بجماعتكم عجالاً، وتتداركوها ركباناً ورجالاً، وتنفروا نحوها خفافاً وثقالاً.. وما أحضكم على الجهاد بما في كتاب الله تعالى، فإنكم له أتلى"[4]. فقد استلهم المعنى القرآني المتمثل في قوله تعالى: (انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً)[5] مبتدعاً أسلوباً فنياً جديداً تمثل في نقل المعنى من صيغة الأمر إلى صيغة الشرط، جاعلاً توظيفه للنص القرآني ملائماً للموقف الذي يتحدث عنه، وهو موضوع الجهاد.

وأما قوله: "وما أحضكم على الجهاد بما في كتاب الله فإنكم له أتلى، "ففيه إشارة إلى جميع الآيات الكريمة التي تحث على الجهاد والتي سبق الإشارة إليها،

---

(1) سورة المائدة، الآية: 35، لمزيد من التفاصيل حول الآيات الكريمة التي تحض على الجهاد انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث، القاهرة، 2001، ص224-225.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن أيمن، من أعلام النظم والنثر، استوزره المتوكل بن الأفطس بعد إقالته لأبي الوليد الحضرمي، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص652.

(3) المتوكل: عمر بن المظفر محمد بن عبد الله التجيبي بن الأفطس، كان رجلاً شجاعاً عظيم القدر، كان أبوه المظفر من فحول العلماء، حاصره المرابطون في بطليوس وقتل هو وابناه الفضل والعباس صبراً سنة 487 هـ، انظر: ابن خاقان، القلائد، ص120.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص654-655.

(5) سورة التوبة، الآية: 41.

فهو يستفيد من المعنى الذي تحمله كلمة الجهاد، ويوظفه بأسلوبه الخاص مستعينا بثقافته القرآنية.

وبعد أن شمَّر المسلمون عن سواعدهم، وتهيأت لهم أسباب النصر بفضل جهادهم في سبيل الله تعالى، كثرت الرسائل التي أشادت بتلك الانتصارات، وأظهرت فضل الله على المجاهدين، ومن ذلك الرسالة التي كتبها يوسف بن تاشفين إلى تميم بن باديس[1] يصف فيها جهاده في الأندلس، حيث يقول:" فثبت الله أقدامنا، وقوى أفئدتنا، والملائكة معنا، والله تعالى ولي النصر لنا"[2] إن عبارة "ثبت الله أقدامنا" مستمدة من قوله تعالى: (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[3] فقد تمثل الكاتب الآية الكريمة وعمد إلى صياغتها بأسلوب جديد يناسب معطيات سياقه الأدبي.

وأما قوله: والملائكة معنا والله ولي النصر لنا، فهو تعبير عن المعنى القرآني الماثل في قوله تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ)[4].

فقد لجأ الكاتب إلى تحوير التعبير القرآني ووفق بين الاستعمال الأصيل للتعبير والوظيفة الجديدة له، فأصبح النص القرآني رافداً أساسياً من روافد صياغة معاني خطابه الأدبي.

(1) هو تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقيا الشمالية، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص304.

(2) مؤلف مجهول، (د.ت)، رسائل سياسية وإخوانية أندلسية، الإسكوريال (مخطوط رقم 448)، نسخة مصوّرة محفوظة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 52.

(3) سورة محمد، الآية: 7.

(4) سورة الأنفال، الآيتان: 9-10.

5.2 يوم القيامة:

تناول الكتاب الأندلسيون مشاهد اليوم الآخر في رسائلهم كما وردت في القرآن الكريم، ثم وظفوا هذه المشاهد في كتاباتهم توظيفاً فنياً يقوّي أفكارهم، ويكشف عن اعتمادهم على المصدر القرآني، وقد ورد الحديث عن يوم القيامة في القرآن الكريم بأسماء متعددة كيوم البعث، والنشور، والحشر، والحساب(1)...

يقول صاحب القلائد في ترجمته للمتوكّل أبي محمد عمر بن المظفر وإشادته بشجاعته وعظم قدره حين قبض عليه من قبل المرابطين، ثم قُتل هو وابناه الفضل والعباس صبراً: "وغدوا صرعى مجدّلين على وجه الأرض، معفّرين إلى يوم النشور والعرض، قد توسّلوا التراب بدلاً من الأرائك"(2).

فقد شكل النص القرآني رافداً أساسياً من روافد تلك الرسالة تمثل في قوله: معفّرين إلى يوم النشور والعرض، وهي فكرة قرآنية استوحاها الكاتب من معاني الآيات الكريمة التي تتحدث عن نشر الخلائق وإحيائهم من قبورهم للحساب والجزاء كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾(3). وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾(4)، فقد كان النّص القرآني حاضراً في ذهن ابن خاقان قبل الكتابة، وهو الذي أوحى إليه بتلك المعاني، وهذا دليل على قدرة الكاتب الأندلسي على ابتكار أساليب ووسائل فنية تعينه في التعبير عن المعاني التي يختزنها النص القرآني.

وقد وظّف الكتاب الأندلسيون هذا اليوم ومشاهده وصوره، فابن شهيد يستحضر مشاهد ذلك اليوم ويذكّر نفسه به حين أوصى أن يكتب على قبره: "هذا قبر أحمد بن عبد الملك بن شهيد المذنب مات وهو يشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا

---

(1) الياسين، إبراهيم منصور، استيحاء التراث في الشعر الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ط1، عالم الكتب الحديث، 2006، ص51.

(2) ابن خاقان، قلائد القيان ومحاسن الأعيان، ص121.

(3) سورة ق، الآيتان: 43، 44.

(4) سورة الحاقة، الآية: 18.

شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله... وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور"[1].

لقد ظهر في هذه الوصية أسلوب فني جديد وظف فيه ابن شهيد النص القرآني، وهو أنه ترك النصّ المقدس في سياقه القرآني، مراعياً مناسبة هذا النص للموقف الذي يتحدث عنه، حيث تمثّل ذلك في اقتباس الآية القرآنية: (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ)[2].

وقد كان مشهد يوم القيامة حاضراً في ذاكرة الكاتب الأندلسي، فابن طاهر تُعرض عليه رقعة رجل يتزهّد، فيردّ عليها برقعةٍ جاء فيها: "وحذّر من يوم الندامة، وبعث يوم القيامة، فيرحمك الله من هادٍ"[3]، إن عبارة "بعث يوم القيامة" مستوحاة من قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ)[4] أي تحيون حياة أبدية لا يعقبها موت ولا فناء ولا بلاء[5] حيث لجأ إلى تحوير التعبير القرآني بما يتوافق مع تعبيره الأدبي.

لقد استفاد الكتّاب الأندلسيون من تلك الصور المتعلقة بيوم القيامة، ودليل ذلك أن رسائلهم تفيض بالحديث عن مشاهد ذلك اليوم، وهو أمر ينبئ عن التربية التي تلقاها هؤلاء الكتّاب في ظلال القرآن الكريم.

6.2 الصّلاة:

من المعاني القرآنية التي تناولها الكتاب الأندلسيون فرائض الإسلام الخمس، ويرى الباحث أن يقصر حديثه على واحدة من هذه الفرائض كأنموذج يجسد رؤى

---

(1) ابن بسام، الذخيرة ق1، م1، ص333

(2) سورة الحج

(3) ابن بسام الذخيرة ق3 م1 ص67

(4) سورة المؤمنون آية 16

(5) الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ص969

هؤلاء الكتّاب في تصوير الملامح الكلية لمنزلة هذه الفرائض لاسيّما فريضة الصلاة.

تعامل الكاتب الأندلسي مع هذه الفريضة على أساس أهميتها ومكانتها كركن أساسي من أركان الإسلام[1]، حيث قال تعالى: (إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا)[2].

وتأتي معاني الصلاة مرتبطة بصفات المؤمنين الصادقين، لذا حذّر القرآن الكريم من التهاون في أدائها، قال تعالى في حق المجرمين: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)[3]، من هنا فقد ذكرها الكاتب الأندلسي مدركاً لأهميتها، ومعظّما لشانها، يقول أبو أحمد بن عبد العزيز بن خيرة القرطبي[4] في رقعة خاطب بها ابن النغريلي الإسرائيلي[5]: "وجدّاً قد جدَّ، فجاء من المصلين"[6] فقوله: جاء من المصلين مستمد من قوله تعالى: (إِلاَّ الْمُصَلِّينَ)[7] ولعلَّ الاستثناء في الآية الكريمة جاء بأسلوب المدح والثناء بعد ذكر صفات الإنسان الذي يجزع إذا مسّه الشر ويمنع

(1) العاني، محمد شهاب، أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002م، ص272.

(2) سورة النساء، الآية: 103.

(3) سورة المدثر، الآيتان: 42، 43.

(4) هو أحمد بن عبد العزيز بن خيرة القرطبي المكنّى بأبي أحمد المنفتل، من أعلام شعراء البيرة في مدة ملوك الطوائف انظر: ترجمته في: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص754.

(5) ابن النغريلي الإسرائيلي يطلق على اثنين مشهورين هما صموئيل بن يوسف (إسماعيل بن يوسف) ويوسف ابنه، وقد كان إسماعيل عالماً، وزر لصاحب غرناطة وخلفه ابنه يوسف فأساء التصرف فيما يبدو، فثار عليه الناس وقتلوه، ولكن ابن بسام ينسب أفعال الابن إلى أبيه. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص761.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص761.

(7) سورة المعارج، الآية: 34.

إذا مسّه الخير[1]، وفي الرقعة نفسها يثني أبو أحمد على صاحبه بقوله:" يحافظ على صلاته حفظه لصلاته "[2] وفي ذلك إشارة لقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)[3]، فقد نظر في الجملة القرآنية وأعاد صياغتها من جديد موظفاً إياها في خدمة غرضه.

ولا شك أنّ إقامة الصلاة تشمل معاني المحافظة والعزم والديمومة والثبات، ثم هي توجه وارتفاع عن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد[4]، من هنا تعمق فهم الكتاب الأندلسيين لتلك الفريضة، فكثر حديثهم عنها بأساليب مختلفة، فقد جاء في إحدى رسائل الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن مسلم التي خاطب بها صاحب ميورقة واصفاً ما شاهده في قرطبة: "ثم اعتمدنا إلى المحراب، فكلٌّ خرَّ راكعاً وأناب"[5] فقد نقل الجملة القرآنية (وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ)[6] دون تغيير وجعلها متمماً معنوياً لجملته.

ويورد صاحب المسالك موقف المتوكل حينما أجدبت الأرض بحضرته إذ قال: "وأخبرني ابن عبدون أن الجدب توالى بحضرته حتى جفّت منابعها، واغبّرت جوانبها، وأبدت الخمائل عبوسها وشكت الأرض إلى السماء بؤسها، فأقلع المتوكل وأظهر الخشوع وأكثر السجود والركوع"[7]، فقد استلهم الكاتب المعنى القرآني في

---

(1) قال تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إِلَّا الْمُصَلِّينَ) سورة المعارج، الآيات: 19–22.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص762.

(3) سورة المعارج، الآية: 34.

(4) هياجنه، محمود سليم، الصورة النفسية في القرآن الكريم، ط1،جدارا للكتاب العالمي ، عمان، 2008، ص24.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص443.

(6) سورة ص، الآية: 24.

(7) العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الثالث عشر، ص5.

قوله تعالى: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾[1]، وقد اختار لفظي السجود والركوع مدركاً قدرتهما على استحضار المشهد القرآني، وتداعيات معانيه في مخيلة المتلقي ذي الثقافة القرآنية[2].

ولما تعددت أشكال توظيف الكاتب الأندلسي لآي القرآن الكريم، فقد وظف النص القرآني توظيفاً ينسجم مع أفكاره من خلال المعنى الذي تشير إليه الآيات الكريمة، حيث ظهر ذلك بوضوح في الرسالة التي كتبها أبو عبد الله بن أبي الخصال إلى أبي الحسين بن سراج[3] نافياً نسبة المقامة القرطبية[4] إليه إذ يقول: "تجافى جنبه عن المضاجع وطلق الدنيا غير مراجع"[5] حيث استمد فكرته بألفاظها من قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[6] مجرياً تغييراً في الضمائر يتناسب مع طبيعة خطابه، وقد جاءت الآية الكريمة في وصف المؤمنين الذين يباعدون جنوبهم عن فرشهم في الليل لصلاة التهجد[7].

---

(1) سورة الفتح، آية: 29.

(2) شراد، أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث، ص116.

(3) هو أبو الحسين سراج بن أبي مروان بن سراج، كانت له منزلة رفيعة في العلوم الدينية واللغوية وهو من بيت علم ونباهة وفضل، كان من أكثر أهل عصره مروءة وأوسعهم مالاً وجاهاً، توفي سنة 508هـ، انظر: ابن خاقان، القلائد، ص63.

(4) وهي مقامة نسبت إلى أبي عبد الله بن أبي الخصال فتبرأ منها، وكان عنوانها (ميزان الأعيان لحكم الزمان) إنشاء فلان بن فلان، حيث تتناول علماء قرطبة وسادتها بفحش وإقذاع وهذا ما دعا صاحب رسائل أندلسية لإسقاطها. انظر: عيسى، فوزي، رسائل أندلسية، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1989، ص112.

(5) المرجع نفسه، ص112.

(6) سورة السجدة، الآية: 16.

(7) الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص1191.

7.2 الموت والحياة:

لقد استمد الكاتب الأندلسي معاني الموت والحياة من القرآن الكريم معتمداً في ذلك على التوجيهات والقيم القرآنية. وقد أعطى القرآن الكريم صورة متكاملة عن هذه الحياة وقيمتها وعما وراء هذه الحياة[1]. فبعد الموت لا بدّ من البعث والنشور مرة أخرى، حيث يلاقي الناس ربهم فيجزون كل بما عمل في الدنيا[2]، (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[3]، كل هذه المعاني استحضرها الكتاب الأندلسيون منطلقين من التصور القرآني الذي طالما اتخذوه دستوراً ومنهج حياة. يقول أبو جعفر بن برد الأصغر في رسائل التحميدات التي أوردها صاحب الذخيرة: "الحمد لله مميت كل حي وباعثه، محيي كل ميت ومنشره"[4]. إن هذه المعاني مستمدة من قوله تعالى: (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[5] وقوله تعالى: (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ)[6]؛ فالكاتب يتفنن في انتقاء أساليب التعبير من خلال استحضاره للمعنى القرآني وتوظيفه بصورة تلائم مفردات سياقه الأدبي.

وتتراءى قيمة الحياة الدنيا بجلاء أمام أعين الكاتب الأندلسي؛ فهي حياة فانية، وهي دار اختبار وفناء كما يقول أبو مروان ابن حيان[7] في مفتتح تاريخه الكبير المسمّى بالمتين: "وأراه سبيل منقلبهم عن هذه الدنيا الفانية التي استعمرهم فيها قرناً

---

(1) شرّاد، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، ص59.

(2) الصفار، أثر القرآن الكريم في الأدب العربي في القرن الأول الهجري، ص85 – 86.

(3) سورة آل عمران، الآية: 185.

(4) ابن بسام، الذخيرة ق1، م1، ص492.

(5) سورة البقرة، الآية: 28.

(6) سورة عبس، الآيتان: 21، 22.

(7) هو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان ولد سنة 377هـ وتوفي سنة 469هـ وهو صاحب كتاب المقتبس في أخبار الأندلس، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص573.

بعد قرن ليبلوهم فيما آتاهم"[1]. في هذه العبارة يستطيع القارئ أن يلمس أصداء الأثر القرآني المتمثل في قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)[2] وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)[3].

إن القدرة الفنية التي امتلكها الكاتب مكنّته من تحوير التعبير القرآني تحويراً يناسب طبيعة خطابه، إذ استوحى المعنى القرآني وصاغه بأسلوب جديد كشف عن مدى تأثره بتعاليم الإسلام ومفاهيمه ومصدر تشريعه الأول القرآن الكريم.

وتأتي هذه المعاني أكثر حضوراً في خواطر الكتاب في رسائل التعزية، ذلك أن القلوب في مثل هذا المقام أحوج ما تكون إلى الموعظة والتذكير، وكان الكتاب يتخذون من حادثة الموت مجالاً للتفكّر في حقيقة الحياة وصروفها، ومن أمثلة ذلك رسالة أبي محمد بن عبد البر. إلى أحد أصدقائه يعزيه في والدته حيث يقول: "وأنت أعلم بالأيام وصروفها.... والأنفس ومآلها، والأجسام واضمحلالها، والعواري وارتجاعها"[4]. فالكاتب يستحضر المشهد القرآني الذي يصور مآل النفس ورجوعها إلى الله تعالى، يقول سبحانه: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً)[5].

وقد أدرك الكاتب الأندلسي حقيقة حتمية الفناء، وأصبح يأمل في نيل الرحمة والفوز بالجنة من خلال خاتمة العمل التي سيلاقي الله تعالى عليها،يقول أبو محمد

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص575.

(2) سورة الملك، الآية: 2.

(3) سورة الأنعام، الآية: 165.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص219.

(5) سورة الفجر، الآيتان: 27، 28.

عبد الحق بن عطية[1] في رسالة خاطب بها أحد زعماء الدولة عندما تغلب العدو على ميورقة، واصفاً ما حلّ بها: "فلله أرحام هناك تشقق، رحمهم الله ماتوا كراما، ولقاهم نضرة وسروراً وسلاماً"[2]. فقد اقتبس الجملة القرآنية: (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا)[3] بنصها وجعلها في ثنايا خطابه تتعانق مع جمله وتراكيبه.

8.2 القضاء والقدر:

لقد أدرك الكاتب الأندلسي بأن كل ما يحدث في الكون إنما هو مكتوب ومقدّر في علم الله عز وجل متمثلاً بذلك قوله تعالى: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا)[4] ومن الذين تناولوا هذه الفكرة أبو عمر أحمد بن عيسى الإلبيري[5] حيث نجده يقترب إلى الروح القرآني ويستوحي منه المبدأ العام لهذه العقيدة، وهي أن الله تعالى قدّر لهذا الكون قوانينه وسننه، وللحياة سننها أيضاً، يقول أبو عمر في رقعة خاطب بها الوزير أبا العباس بن العريف في أرض تعدّى عليه فيها:" فاتخذ عندي اليوم يداً، تجدها عند الله مضاعفة غداً.... فان لله تعالى لوحاً ضمّنه المقادير كلها"[6]، فقد استمدّ فكرته الأخيرة من المعنى القرآني الماثل في قوله تعالى: (وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ

---

(1) هو القاضي عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي من أهل غرناطة، كان من الفقهاء الحفاظ، وأهل الحديث والتفسير والأدب وله كتاب "الوجيز في التفسير" توفي سنة 541 هـ بمدينة لورقة، انظر: ابن خاقان، القلائد، ص655.

(2) ابن خاقان، القلائد، ص667.

(3) سورة الإنسان، الآية: 11.

(4) سورة الأحزاب، الآية: 38.

(5) الإلبيري، هو أبو عمر أحمد بن يحيى بن عيسى، كان يعرف قديما بابن المحتسب ثم عرف بابن عيسى، كان أديباً شاعراً متكلماً، توفي سنة 429 هـ، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص847.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص848.

بِمِقْدَارٍ)[1]، وقوله تعالى: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا)[2] ومزج خطابه بذلك المعنى ليمنحه سمة التصديق ويبث فيه روح القداسة.

ويتصدر الرافد القرآني اهتمام الفتح ابن خاقان في تعقيبه على قطعة مطولّة، كتب بها الراضي بالله يزيد بن محمد[3] إلى والده المعتمد بن عباد، حيث يظهر إيمانه بالقضاء والقدر جلياً فيها حيث يقول: "وإذا أراد الله إنفاذ أمر سبق في علمه، فلا رادّ لأمره، ولا معقّب لحكمه لا إله إلا هو"[4] إن هذه الفكرة تتكئ على معانٍ قرآنية تمثلت في آيات عدة من كتاب الله العزيز، نذكر منها قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ)[5]، (وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ)[6] (وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ)[7].

إنَّ تفنّن ابن خاقان في توظيف النص القرآني بهذا الأسلوب، يدل على إدراكه -كغيره من الكتَّاب- لمواضع الجمال الفني في القرآن الكريم، لهذا نجده يطوف حول المعنى القرآني ثم يوظفه بأسلوبه ولغته الخاصة، متأثراً بالأسلوب القرآني الذي طالما أضفى جمالاً فنياً على رسالته[8].

وتستقر فكرة القدر في ذاكرة ابن بسام، إذ يطمئن إليها قلبه ويهتدي إلى التصريح بها في نهاية ترجمته للمعتضد بالله أبي القاسم محمد بن عباد إذ يقول:

---

(1) سورة الرعد، الآية: 8.

(2) سورة الفرقان، الآية: 2.

(3) هو أبو خالد يزيد المعتمد، ولي الجزيرة الخضراء، ويؤخذ من سيرته أن أباه كان يلومه بين الحين والحين، فيعتذر ويستعتب، توفي سنة 484 هـ، انظر: ابن خاقان، القلائد، ص110.

(4) ابن خاقان، القلائد، ص119.

(5) سورة الرعد، الآية: 41.

(6) سورة الرعد، الآية: 11.

(7) سورة يونس، الآية: 107.

(8) الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص523.

"ولكل شيء أمدُ مكتوب وميقات مضروب، ويبلغ الكتاب أجله"[1]، لقد تأثر ابن بسام بالمعاني القرآنية الكامنة في قوله تعالى: (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)[2] وصاغها بأسلوب كشف عن مدى ثقافته وقدرته الفنية في التعبير.

إن هذه الشواهد الحية التي تم اختيارها تهدف إلى إبراز أثر المعاني القرآنية في تجارب الكتاب الأندلسيين، وإثبات اعتمادهم على المعنى القرآني في التعبير عن أفكارهم، على أن المعاني التي عرضنا لها لا تمثل حجم ظاهرة المعاني القرآنية بكاملها، وإنما تمثل الجوانب المهمة منها، والتي كانت سمة بارزة في نثرهم إلى حد يكشف عن سعة الثقافة القرآنية التي اكتسبها الكتاب آنذاك.

---

(1) ابن بسام ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص41.

(2) سورة الطلاق، الآية: 3.

الفصل الثالث

أثر القصص القرآني

لقد جاءت القصة في القرآن الكريم لتحقيق مقاصد وأغراض عديدة، ومن أهم تلك المقاصد والأغراض الدعوة إلى الحق والهداية إلى مواقع الخير وتقويم الأخلاق وتزكية النفوس وتهذيب الطباع وتثبيت قلب النبي r وتأييده ومواساةً له وللمؤمنين، إضافة إلى تثبيت العقائد الصحيحة، ونفي الخرافات والأفكار القديمة[1].

والقصص القرآني سرٌّ من أسرار إعجاز القرآن الكريم، ومنهج متكامل ينبغي الوقوف على نظامه، لما له من أهداف سامية، ومقاصد نبيلة، غايته الأولى الارتقاء بالإنسان والسمو به في جوانب متعددة، فهو سمو روحي وخلقي ونفسي، يشعر به الفرد، ويجد به حلاوته ولذته، وهو سمو اجتماعي تجد الجماعة فيه بغيتها وأمنها وضالتها وفضيلتها[2].

بالإضافة إلى ذلك فهو منهج تربية، وأسلوب تعليم وتوجيه، وغذاء للفكر والروح؛ وذلك لما تضمنه من توجيهات تربوية، ومثل عليا، وحكم ومواعظ، وتعاليم لأصول العقيدة، وما ينبثق عنها من مبادئ خُلقية، وقيم روحية، وأعمال سلوكية تهذّب النفس، وتكون الشخصية المتزنة التي تعمل في اعتدال وتوازن[3]، وهو -فوق ذلك- تعبير عن واقع الإنسانية وتصوير صادق لغرائزها وملكاتها وأحوالها المختلفة.

كما أن القصص القرآني ليس عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصّة الفنية الحرة، التي تهدف إلى غرض فني مجرد، بل إن القصّة القرآنية وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة لتحقيق هدفه الأصيل، والقرآن الكريم كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى

---

(1) إسماعيل، قصص القرآن الكريم من آدم u إلى أصحاب الفيل، ص13-15.

(2) عباس، فضل، القصص القرآني:إيحاؤه ونفحاته، ط 1، دار الفرقان، عمان، 1987م، ص10-11.

(3) الياسين، استيحاء التراث في الشعر الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص80.

وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها[1]، لهذا لم يسمّ القرآن الكريم القصص (أخباراً)، لأنه لم يقدمها كما تقدم الأخبار المجردة خالية من التصوير الفنـــي،ولـــم يســـمِّها (حكايات) لأنه لم يسردها كما يسرد الحكايات التاريخية[2].

على أنّ القصّة الواحدة في القرآن الكريم قد يكون فيها أكثـــر مـــن مـــوطن عبرة، وأكثر من جانب استشهاد، فلا غرو أن تذكر في المناسبة التي يراد الاستشهاد لها، أو المواطن التي يراد الاتعاظ بها[3].

وفي هذا الفصل سنسلّط الضوء على القصّة القرآنية وعلاقة الكاتب الأندلسي بها، لمعرفة طبيعة تعامله مع هذه القصّة، وطريقة إيراده لها في سياقات نصوصه، ومدى نجاحه في توظيفها كدليل تأثّر بالنص القرآني، ولا بد من الإشـــارة إلـــى أن البحث سيطول بنا كثيراً إن نحن تتبعنا أماكن ورود تلك القصّة في نثر الأندلســـيين طوال قرن من الزمان، لذا سنكتفي بشواهد محددة منها، لنرى إلـــى أي حـــد تـــأثر هؤلاء الكتاب بدلالات ومعاني هذه القصص من خلال أساليب التعبير التي تفننوا في ابتداعها.

1.3 قصة موسى u :

لقد حظيت شخصية موسى u باهتمام الكتاب الأندلسيين، فتناولوا أحـــداث قصّته وتفننوا في توظيفها، للتعبير عن أحداثٍ ومواقف معينة، وربمـــا أتـــى هـــذا الاهتمام من كونها أكثر القصص في القرآن الكريم تكراراً[4]، وقد ارتبطـــت هـــذه الشخصية بمواقف ومشاهد ذكرها القرآن الكريم بصورة موجزة حينـــاً، وبصـــورة

---

(1) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ط6، دار الشروق، بيـــروت، 1400هـــــ-1980م، ص117.

(2) الربيعي، أحمد، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، ط1، دار الشؤون الثقافيـــة العامـــة، بغداد، 2001م، ص9.

(3) السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ط6، دار عمار، عمان، 2009م، ص288.

(4) العاني، أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي، ص118.

تفصيلية حيناً آخر[1]، أما طريقة تناول الكتّاب الأندلسيين لهذه القصة فإنهم يلخصونها في الغالب بلمحة خاطفة، ومن الأمثلة على ذلك ما أورده ابن خاقان في ترجمته لأبي عبدالرحمن محمد بن طاهر واصفاً محنته بعد فراره من جيش المعتمد[2] ونزوله في كنف أبي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية، ثم نزوحه من بلنسية عندما احتلها النصارى إلى شاطبة[3]، إذ يقول: "ووافى شاطبة خالياً إلا من الوجد، عارياً إلا من المجد، قد انتشى من الذل، فآوى إلى الظل"[4]، فقد استطاع الكاتب بما أوتي من ثقافة قرآنية من تطويع هذه الثقافة في خدمة نصّه، وذلك بتوظيفه للمعنى القرآني في قصة موسى في سياقه الأدبي، إذ إن موسى u حينما قتل رجلاً من قوم فرعون، خرج خائفاً من تلك البلاد باتجاه مدين، فلما ورد ماء مدين وجد عند الماء أمة من الناس يسقون دوابهم وأنعامهم، ووجد امرأتين تسوقان الغنم بعيداً عن الماء خوفاً من مزاحمة الرجال، فعزَّ على موسى u أن يراهما في هذه الحال[5] {فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ}[6]، فقد استعان الكاتب بالجملة القرآنية "تولى إلى الظل" مسخراً طاقاتها الإيحائية في خدمة خطابه، ليترك للمتلقي استنباط أوجه الشبه بين حال موسى u وحال ابن طاهر في قصتيهما.

---

(1) شراد، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، ص158.

(2) انظر: ابن خاقان، قلائد العقيان ومذاهب الأعيان، ص170.

(3) شاطبة: مدينة في شرقي الأندلس، وشرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة قديمة، يجوز أن يقال إن اشتقاقها من الشطبة، وهي السعفة الخضراء الرطبة، وشطبت المرأة الجريدة شطباً إذا شققتها لتعمل حصيراً. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص309.

(4) ابن خاقان، قلائد العقيان ومذاهب الأعيان، ص172.

(5) إسماعيل، قصص القرآن من آدم u إلى أصحاب الفيل، ص166-167.

(6) سورة القصص، الآية: 24.

وفي مشهد آخر يستلهم الأديب الكاتب أبــو الربيــع ســليمان بــن أحمــد القضاعي[1] معنى آخر يتجسد في قصة موسى u حينما كان مــع أهلــه ، إذ رأى ناراً فأراد أن يقتبس منها، يقول أبو الربيع في رقعة خاطب بها يوســف الإســلامي وقد طلب منه آلة نجّار خدم عنده: "ألم تر إلى موسى u كيف اقتبس نوراً، فأُقبس أنواراً"[2]، فالكاتب يستمد هذا المشهد من قوله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى، فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى }[3]، فقد ذهب موسى u يطلب قبساً مــن النــار وهادياً يهديه السبيل، ولكنه وجد الآية الكبرى، إذ رأى نوراً في كل مكان قــد بــدّد ظلمات الليل البهيم[4]، فقد وظّف الكاتب القصة القرآنية في سياقه الأدبي توظيفاً فنياً أكسب نصّه عمقاً وثراءً، وأثار في ذهن القارئ أجواء دينية تحمــل فــي طياتهــا دلالات قرآنية جمّة.

ومن الجوانب التي اهتم بها الكتاب الأندلسيون في قصة موسى u : العصا التي كان يحملها u ، إذ أبدع هؤلاء الكتاب في أساليب توظيفها، ففي رسالة كتبها أبو محمد بن عبدون[5] لصديقه أبي القاسم بن الجد[6] يقول فيها: "وصــلني كتــاب

---

(1) هو أبو الربيع سليمان بن أحمد القضاعي، من الكتّاب المتصرّفين في النظم والنثر، قال عنه ابن بسام: "وكلامه يجمع بين الحلاوة والجزالة، ويتصرف في لطائف الصنعة"، انظر: ابــن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص499.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص502.

(3) سورة طه، الآيات: 9-12.

(4) إسماعيل، قصص القرآن من آدم u إلى أصحاب الفيل، ص172.

(5) هو أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري، أديب وشاعر ومترسل مشهور، من أهل مدينة يابرة بالأندلس، استوزره بنو الأفطس إلى انتهاء دولتهم، ثم انتقل إلى خدمة المرابطين بعــد خلع ملوك الطوائف، اشتهر بقصيدته "البسّامة" التي قالها في رثاء بني الأفطس، توفي ســنة (527هــ)، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص668، وابن خاقان، القلائد، ص417.

(6) هو محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجد الفهري، شلبي الأصــل، ســكن إشــبيلية، يعــرف بالأحدب: كان من أهل التفنن في المعارف والآداب والبلاغة، ذا حظ جيد من الفقه والتكلم=

كريم، طلعت عليّ منه نجوم...وتلقفتها تلقف عصا موسى حبال الملقين "[1]، فالكاتب يعبر عن تشوقه وتعطشه لما يحمله الكتاب الذي وصل إليه، فلم يجد صورة يعبر عنها في تلقفه له أفضل من تلك الصورة القرآنية التي قدمها المشهد القرآني {فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ}[2].

وقد تناول الكاتب الأندلسي القصة بطرائق تجاوزت الدلالات والمعاني القرآنية إلى دلالات ومعانٍ أخرى، فاستعان بالقصة القرآنية شاهداً، ثم عاد يبثّ فيها صوراً إيحائية وتحويرية غير تلك الصور، ومن ذلك ما جاء في رسالة أبي الحسن علي بن عبد الغني الكفيف المعروف بالحصري[3]، التي خاطب فيها أبا الحسين بن الطراوة[4]، حيث كان بينهما خصومات، إذ كان كل منهما يهجو الآخر، حيث يقول: "ونظمت قصيدة سميّتها سهم الشهم... فما بلغته حتى دمغته، وألقاها كأنها حية لدغته"[5]، لقد استلهم جملته الأخيرة من قوله تعالى: {فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى }[6]، حيث استطاع أن ينتزع الموقف القصصي ويوظفه في سياق ومعنى جديدين يناسبان طبيعة سياقه الأدبي.

وقد لجأ بعض الكتاب إلى استحضار الشخصية بإيراد مواقف قصصية مختلفة لها، فيوظّف تلك المواقف في خدمة القضية التي يعالجها، ففي حديث صاحب

=في الحديث، كان يفتي ببلده لبلة توفي سنة (515هـ). انظر:ابن خاقان، القلائد، ص322، ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص285.

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص676.

(2) سورة الشعراء، الآية: 45.

(3) هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الكفيف المعروف بالحصري، دخل الأندلس سنة (450هـ) قادماً من القيروان، توفي سنة (488هـ)، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص245.

(4) هو سليمان بن محمد بن الطراوة المالقي النحوي، تجول في بلاد الأندلس معلماً وله كتاب "المقدمات على سيبويه"، توفي سنة 528هـ. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص249.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص250.

(6) سورة طه، الآية: 20.

الذخيرة عن مقتل الفقيه أبي بكر بن الحديدي[(1)] ونجاته من المحاولة[(2)] التي دبّرها له يحيى[(3)] بن ذي النون[(4)]، يقول: "ثم وافي البلد ليلةً وقد استوحش من أنسه، وأوجس خيفة في نفسه، وأصبح في المدينة خائفاً يترقب، ونادماً يتتبع"[(5)]، فقد استمد ابن بسام حديثه من موقفين قصصيين مختلفين للنبي موسى u ، تمثل الأول منهما في قوله: "وأوجس خيفة في نفسه"، حيث استلهم الآية الكريمة {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى }[(6)]، مستعيناً بتقنية التحوير، وتمثل الموقف الثاني في قوله: "أصبح في المدينة خائفاً يترقب" حيث اقتبس الآية القرآنية: {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ}[(7)]، بنصّها.

إن كلا الموقفين يختلف تماماً عن الآخر، فالأول يصور موقف موسى u والخوف الذي أحسّ به، حينما خُيّل إليه أن حبال السحرة حيات تسعى، وأما الثاني فيصور موقفه u بعدما قتل الرجل القبطي وخاف على نفسه من عواقب ذلك العمل.

لقد استطاع ابن بسام ببراعته أن يستحضر موقفين قصصيين مستعيناً بالنص القرآني وأن يوظفهما في سياق نصه، بحيث تعانق المشهدان إلى حدٍّ يحس فيه القارئ أنه أمام مشهد واحد.

---

(1) هو يحيى بن سعيد بن أحمد بن يحيى بن الحديدي من أهل طليطلة، كان فصيحاً فطناً مقدماً في الشورى. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص151.

(2) انظر: تفاصيل الخطة، ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص151.

(3) هو الأمير أبو الحسن يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون، أقدم ملوك الأندلس رياسة وأشرفهم بيتاً، تلقب بالمأمون، تغلّب أبوه إسماعيل على طليطلة واستبدّ بملكها إلى أن استولى عليها ألفونس السادس ملك قشتالة سنة (478هـ)، انظر:ابن خاقان، القلائد ، ص164.

(4) ذي النون، أندلسي محدث، روى عنه ابن سعيد بن ذي النون، مات بالأندلس، ذكره أبو سعيد بن يونس ولم يذكر له نسباً. انظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص344.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص151.

(6) سورة طه، الآية: 67.

(7) سورة القصص، الآية: 18.

2.3 قصة إبراهيم u :

لقد حدد القرآن الكريم ملامح شخصية إبراهيم u بوضوح، فقال سبحانه: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً }[(1)]، وكأنه وحده أمة كاملة لاجتماع فضائل الخير فيه، كما تجتمع في الأمة الواحدة[(2)]، من هنا فقد حظيت قصّته باهتمام الكتّاب الأندلسيين من خلال صلتهم بالقرآن الكريم، فأفادوا منها في التعبير عما يجول في خواطرهم.

وقد كانت نار إبراهيم التي رُمِيَ بها، فكانت عليه برداً وسلاماً بإذن الله ، حاضرة في كتابات الأندلسيين، فبعد جدال ومناظرة بينه u وبين قومه حول عبادة الأصنام، وتغلبه عليهم في الحجة عدلوا عن الجدال والمناظرة لما غلبوا، ولم تبق لهم حجة ولا شبهة إلاَّ استعمال قوتهم وسلطانهم فقالوا {حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ}[(3)]، ولما وضع الخليل u في كفّة المنجنيق مقيداً مكتوفاً، ثم ألقي منه إلى النار، قال: "حسبي الله ونعم الوكيل"[(4)]، فجاء الأمر الربّاني إلى هذه النار {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ}[(5)].

ويأخذ محمد بن مسلم هذا المعنى مدللاً به على قدرة الله سبحانه، يقول في إحدى رسائله إلى صاحب ميورقة: "إن الذي أنطق الجذع والحصى، وخلق الحية من العصا، والنار بعد أن كانت ضراماً، وقال: كوني على إبراهيم برداً وسلاماً، لقادر على أن يورق الصلاد، كما أنطق الجماد، وعلى أن يُعمل النار في الخمود كما أبطلها عند الوقود"[(6)]، فقد استحضر الكاتب تلك القصة مستعيناً بالنص القرآني،

---

(1) سورة النحل، الآية: 120.

(2) شراد، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، ص165.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 68.

(4) الربيعي، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، ص183.

(5) سورة الأنبياء، الآية: 69.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص433.

وطوّعها في خدمة نصّه لإثبات قدرة الله تعالى على كل شيء {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[1].

وتصبح هذه النار رمزاً للاستشهاد بها عند ابن عبدون الذي يقول في رقعة خاطب بها الفتح بن خاقان: "وهل تحس إلا ضلوعاً من ساكنيها قفاراً.... لا تستعر إلا بالتسليم لسبقك، والتعظيم لحقّك، إنصاراً بأدنى لمحة من نثير منك أو نظيم، يرد من الأفهام والأوهام كل لفحةٍ، ولو كانت من نار إبراهيم"[2].

أما مشهد الذبيح إسماعيل[3]، فقد تفاوت الكتاب في طريقة تناوله، وغالباً ما يتناولونه بطريقة إشارية دونما ذكر للمشهد أو تفصيل فيه، إذ يكتفون بلفتةٍ تشي بكليات المشهد وتترك للقارئ مراجعته في الذاكرة[4]، يقول أبو حفص ابن برد الأصغر في رسالة البديعة[5]: "لم يجعل الله عز وجل من هذا الجنس أقرب قربان فدى به ابن خليله، وسمّاه ذبحاً عظيماً في تنزيله إلا لسر من فضله سبق في علمه"[6]، ففي هذه الرسالة يردّ ابن برد على من عابوه باستعمال جلود الشاء واتهمه بالبخل وألصق به ضروباً من النقائص والمثالب، وقد أقام معهم حواراً فكرياً يدافع فيه عن نفسه ما رُمي به من عيب[7]، فيحاول إيجاد تبريرات يثبت من خلالها أفضلية جلد الشاء، فاستحضر المشهد القرآني المتضمن صورة الكبش الذي فدى الله عز وجل به إسماعيل، حينما امتثل لأمر والده إبراهيم عليهما السلام عندما أراد أن

---

(1) سورة يس، الآية: 82.

(2) ابن خاقان، القلائد، ص426.

(3) لمزيد من التفاصيل حول قصة الذبيح. انظر: إسماعيل، قصص القرآن من آدم u إلى أصحاب الفيل، ص77-81.

(4) شراد، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، ص167.

(5) هي رسالة البديعة في تفضيل أهب الشاء على ما يفترش من الوطاء. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص531.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص533.

(7) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص240.

يذبحه وهو قوله تعالى: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}(1)، ثم انتقى لسياقه أسلوباً تعبيرياً ضمّنه معنى الآيات الكريمة، وهذا دليل على عمق علاقة الكاتب بالقرآن الكريم.

وفي إحدى رسائل الكتاب الأندلسيين التي يحاكون بها رسالة ابن عبد البر، يقول كاتبها متأسيّاً بالأنبياء عليهم السلام: "هذا خليل الرحمن، وكان في الأنبياء من كان... وقد تلَّ أيضاً u ابنه الذبيح للجبين، ووضع في حلقه السّكين، وهو من أبر النبيين، اتباعاً لأمر الله حتى فداه الرب الكريم، بالذبح العظيم"(2). لقد اتخذ الكاتب من هذه القصّة قدوة للتأسّي، فعمد إلى استحضار المشهد القرآني الذي يصوّر تلك الحادثة ونثره في ثنايا خطابه مستمداً المعنى بأكمله من قوله تعالى: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}(3).

لقد تجسّدت في شخصية إبراهيم u معانٍ كثيرة، فاستلهم الكاتب الأندلسي هذه المعاني، معتمداً على اللغة القرآنية التي أصبحت تجري على لسانه، ففي رسالة التوابع والزوابع لابن شُهَيد، نجده يستحضر قصة إبراهيم u مع النمرود ويقتبسها اقتباساً نصّياً(4) مدللاً بها على الجدل(5)، إذ يقول: "قالت:أقسم أن الله ما علّمك الجدل في كتابه، قلت محمول عنك أم خفيف، لا يلزم الإوز حفظ أدب القرآن، قال الله عز وجل في محكم كتابه حاكياً عن نبيه إبراهيم u : {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}(6)، فكان لهذا الكلام من الكافر جواب، وعلى وجوبه مقال، ولكنّ النبي

---

(1) سورة الصافات، الآيات: 103-107.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص160.

(3) سورة الصافات، الآيات: 103-107.

(4) أي يقتبسها بنصها الذي وردت فيه.

(5) انظر: حوارية الجدل بين ابن شهيد والإوزة: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص298-301.

(6) سورة البقرة، الآية: 258.

r لما لاحت له الواضحة القاطعة، رماه بها وأضرب عن الكلام الأول، قال: {فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ }[(1)]، فاهتزت من جانبيها وهمت بالطيران"[(2)].

فقد استلهم ابن شهيد من قصة إبراهيم مع النمرود مواقف ولفتات موحية، حيث إنّ اللقطة القصصية التي اقتبسها بنصّها أسعفته في التعبير عما يريد[(3)]، وهذا يعني أن القصّة القرآنية شكّلت رافداً مهماً استمدَّ منه ابن شهيد وغيره من الكتاب كثيراً من الموقف.

3.3 قصّة نوح u :

تناول الكتاب الأندلسيون مشاهد عدة من قصة نوح u ، واختلفت أساليبهم في توظيفها، فقد عمد ابن زيدون في الرسالة التي بعث بها إلى أبي الحزم من سجنه إلى تقنية جديدة، إذ يقول: "وما أراني إلاَّ لو أنّي أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت، وقال لي نوح: (اركب معنا)، فقلت: (سآوي إلى جبل يعصمني من الماء)"[(4)]، فقد اعتمد الكاتب على تقنية الاحتجاج كوسيلة من وسائل توظيف القصص القرآني، فاحتجّ بقصة نوح u كما وردت في قوله تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء }[(5)].

والاحتجاج –كما يقول الربيعي- لا يكون إلا بآيات من القرآن الكريم أو بالقصص القرآني، فتكون الحجة قوية دامغة لأنه استند إلى كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل، ويلجأ الكتاب إلى الاحتجاج بالقصص القرآني عندما يكونون في معرض دفاع عن

---

(1) سورة البقرة، الآية: 258.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص300.

(3) الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص532.

(4) ابن خاقان، القلائد، ص212.

(5) سورة هود، الآيتان: 42، 43.

النفس، أو التخفيف والتسلية من المصائب[1]، وإذا علمنا أن ابن زيدون كتب رسالته هذه من السجن يستعطف بها أبا الحزم بن جهور، ويصور له أنه لم يرتكب جرماً كبيراً يستحق عليه السجن[2]، فإن احتجاجه بالقصص القرآني خير وسيلة للدفاع عن نفسه.

ويستخدم صاحب الذخيرة تقنية التلميح كوسيلة أخرى من وسائل توظيف القصص القرآني، ففي ترجمته للكاتب أبي عامر بن التاكرني [3] يقول: "فلما انقرضت الدولة العامرية وانشقّت عصاها، وأدارت الفتنة المبيرة رحاها، كان أحد من مرق من ظلمائها، وآوى إلى جبلٍ عصمه من مائها"[4]، لقد استمد ابن بسام عبارته الأخيرة من قوله تعالى: {قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ}[5]. حيث كانت نجاة أبي عامر من الفتنة التي دارت عند انقراض الدولة العامرية مناسبة لتغلغل القصة القرآنية المتمثلة في قصة نوح مع ابنه إلى سياق نصّه، وقد تمثّل إبداع الكاتب في اختيار الوسيلة التي دخلت من خلالها القصّة القرآنية إلى نصّه، فبدا نصّه لائحاً في الأفق يطرق آذان سامعيه ولم يعد أسيراً لثقافة كاتبه.

ومن المواقف القصصية الأخرى التي صوّرها الكتاب الأندلسيون قصّته u مع قومه الذين لم تزدهم دعوته إلا نفوراً عن الحق وإعراضاً، فكلما دعاهم للإيمان جعلوا أصابعهم في آذانهم حذر سماع ما يقوله لهم نبيهم u [6]، ففي إحدى رسائل أبي عبد الله محمد بن مسلم التي خاطب بها صاحب ميورقة، يستحضر الكاتب هذه

---

(1) الربيعي، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، ص280.

(2) ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص329.

(3) هو أبو عامر محمد بن سعيد التاكرني، نسبة إلى تاكرنا، وكانت قصبة كورة رندة، كاتب مجيد، ومحسن معدود، نشأ أبوه في الدولة العامرية ثم استقر ببلنسية، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص226.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص226.

(5) سورة هود، الآية: 43.

(6) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، تحقيق محمد الصالح العثيميين، دار ابن الهيثم، القاهرة، 1420هـ-2000م، ص889.

القصة مستعيناً بالاقتباس[1] كوسيلة من وسائل توظيف القصص القرآنـــي، حيـــث يقول: "لما صفا الحصن الفلاني إلى من أيّده الله أجلب عليه المقتدر بخيله ورجله... حتى صار كالسماء ملئت حرساً شديداً وشهباً، فدعا إقبال الدولة إخوانـــه لإنجـــاده، ونادى حلفاءه لإمداده، فاستغشوا بأردانهم، وجعلوا أصابعهم في آذانهم"[2]، فقد اقتبس الآية القرآنية: {جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ}[3]بنصّها، وحوّر الآيـــة الكريمـــة : {وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ}[4] فظهرت براعته في أنه جعل النص المقتبس وصفاً لمـــا قبلـــه مســـتوحياً صورته من قصة نوح مع قومه، فكما أن قوم نوح أعرضوا عن دعوة نبيهم وجعلوا أصابعهم في آذانهم إعراضاً عنها، فقد كان حال حلفاء إقبال الدولة حينمـــا دعـــاهم لنجدته شبيهاً بحال ذلك القوم مع نبيهم u .

ولم يقف تناول الكتاب الأندلسيين لقصّة نوح u عند هذا الحد، فقد استلهموا قصّته حينما نجاه الله تعالى على السفينة ذات الألـــواح والدســـر -أي المســـامير- ووظفوها بطريقة إشارية تكشف عن سعة ثقافتهم القرآنية، ففي مقامـــة كتـــب بهـــا محارب بن محمد الوادي آشي[5] للقائد أبي عبيدالله بن ميمـــون[6] واصـــفاً جهـــاده

---

(1) الاقتباس هو تضمين النظم أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه، بأن يقال: قال الله تعـــالى أو نحوه، فإن ذلك حينئذٍ لا يكون اقتباساً. انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الـــرحمن (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، 1973، ج1، ص111.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص429.

(3) سورة نوح، الآية: 7.

(4) سورة نوح، الآية: 7.

(5) هو أبو محمد محارب بن محمد بن محارب، من أهل وادي آش قرب غرناطة. انظر: ابـــن الأبّار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت: 658هـ)، تحفة القـــادم، أعـــاد بنـــاءه وعلّق عليه: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص44-45.

(6) عبدالله بن ميمون: قائد بحري مرابطي، أبلى بلاءً حسناً في استرداد جزيرة ميورقة، بعد أن حاصرها النصارى واحتلوها سنة 508هـ، واستطاع ابن ميمون أن يخترق الحصار بسفينة تحت جنح الظلام وأن يعبر البحر لطلب النجدة. انظر: ابن عذارى: أبو عبد الله أحمد بـــن=

لاستعادته ميورقة من الأعداء، إذ يقول:"وسنّى الله لمن من أمره ما يُسِّر ويسر، وركب على ذات ألواح ودسر، وسار يلج من البحر في كل لجة"[1]. فالجملة (وركب على ذات ألواح ودسر) مستمدة من قوله تعالى:{وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ }[2]، وهي استحضار لتلك القصة القرآنية التي تصور رعاية الله تعالى لنبيه نوح u حينما نجاه ومن آمن معه من العذاب وهو الطوفان[3].

4.3 قصة أصحاب الفيل:

كانت قصة أصحاب الفيل[4] واحدة من القصص التي تناولها الكاتب الأندلسي، وهي قصّة جيش أبرهة الحبشي الذي أراد هدم الكعبة، فأنقذها الله تعالى من شرّه وجعله عبرة لغيره، وأنزل في تلك الحادثة قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، يقول سبحانه: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ}[5].

جاء في الرسالة الجدية التي كتبها ابن زيدون وهو في السجن لأبي الحزم بن جهور[6]، أمير قرطبة يستعطفه فيها قوله: "حنانيك، قد بلغ الماء الزبى، ونالني ما

=محمد المراكشي (ت: 695هـ)، البيان المغربفي أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، ط4، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص62-67.

(1) عيسى، رسائل أندلسية، ص90.

(2) سورة القمر، الآية: 13.

(3) لمزيد من التفاصيل حول قصة سفينة نوح u . انظر: إسماعيل، قصص القرآن، ص45.

(4) لمزيد من التفاصيل حول قصة أصحاب الفيل. انظر: قطب، محمد علي، قصص القرآن، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1420هـ-2000م، ص181-191.

(5) سورة الفيل، الآيات: 1-5.

(6) هو جهور بن محمد بن جهور أبو الحزم، ولد سنة364هـ، وولي الوزارة أيام بني عامر إلى أن انقرضت دولتهم، بايع هشاماً مع أهل قرطبة، ولما خلع هشام سنة 422هـ، استقلّ أبو الحزم بقرطبة وساسها أحسن سياسة، توفي سنة 435هـ. انظر: ابن خاقان، المطمح، ص180.

حسبي به وكفى، وما أراني إلا لو أنّي أُمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت... وقدت الفيل لأبرهة"[1]، فقد أخذ ابن زيدون يعدد بعض كبار الذنوب، ويقول: لو أنني ارتكبتها جميعاً لكفاني ما نلته من عقابك[2]، وقد ذكر فيل أبرهة كواحدٍ من هذه الذنوب، وأي ذنب أكبر من ذنب أبرهة الحبشي الذي ساق الفيل في مقدمة جيشه لاستخدامه في هدم الكعبة! فردّ الله تعالى كيده في نحره بأن أرسل عليه وعلى جنده طيراً يحمل في منقاره الموت الزؤام، فعبارة ابن زيدون "وقدت الفيل لأبرهة" مستمدة من قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}[3]، حيث حوّر التعبير القرآني تحويراً طفيفاً مستشهداً بذاك الحدث كذنب عظيم ارتكبه صاحب القصة، فوظّفه في نصّه توظيفاً مناسباً لطبيعة الموقف الذي يتحدث عنه.

وفي حديث ابن بسام عن الفقيه أبي الوليد الباجي[4]، وإيراده جملة من أخباره يقول: "ودخل بغداد والحرمان قد كساه سرابيل، ورماه بطير أبابيل"[5]، فما من شك أن ابن بسام استلهم هذا التعبير من الآية الكريمة: {وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ}[6]، حيث أدخل بعض التغييرات ليلائم بين النص القرآني وسياقه الأدبي، وهذا يدل على أنّ النّص الديني –لاسيّما القرآني- شكّل رافداً أساسياً من روافد

---

(1) ابن خاقان، القلائد، ص212.

(2) عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص459.

(3) لقد كان بإمكان أبرهة وجنده أن ينقضوا بناء الكعبة بأيديهم ومعاولهم، ولكنه استخدم الفيل لتلك الغاية لإذلال المسلمين بهدم رمز معتقدهم ومهوى قلوبهم وأفئدتهم بأسلوب فيه التحقير والإزدراء وهو استخدام الحيوان. انظر:قطب، قصص القرآن، ص185.

(4) هو أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي، أحد أقطاب المذهب المالكي، وصاحب المؤلفات الفقهية القيمة التي منها: المنتقى وأحكام الفصول في أحكام الأصول وغيرها، توفي بالمرية سنة 474هـ. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص94.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص94.

(6) سورة الفيل، الآيتان3، 4.

صياغة معاني الخطاب عند ابن بسام[1]، ذلك أنه كان يعتني بأسلوبه النثري عناية فائقة، حتى غدت تراجمه قطعاً أدبية تعكس موهبة بلاغية واضحة، وليس أدلّ على ذلك من جمالية توظيفه للنّص المقدّس، وقدرته على تطويع ذلك النّص لخدمة أفكاره[2].

وقد جاء في إحدى رسائل أبي عبد الله بن محمد بن مسلم إلى أغلب صاحب ميورقة: "فأخذنا يمنة الطريق، وتيمّمنا أوريولة على الفج العميق، فإذا بصماء منه قد انكدرت، فأمطرت علينا حجارة من سجيل، كادت تجعلنا كعصف مأكول، فقوم شُدخت رؤوسهم، وقومٌ ضمُّت عليهم رموسهم، كأنهم بقية من أصحاب الفيل"[3]، فقد استمدَّ صورته التشبيهية من أحداث قصّة الفيل، فيشبه الصخرة التي تناثرت حجارتها وتساقطت على الأرض بالحجارة التي أرسلتها الطيور التي جنّدها الله تعالى على جيش أبرهة، فالصورة إذن مستمدة من قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} [4]. إن رسم الكاتب لهذه الصورة التي استمدَّ أجزاءها من القرآن الكريم دليل على قدرته البيانية وشاهد على عمق علاقته بالقرآن الكريم، وما من شك في أنّ الصورة القرآنية ملازمة للتعبير القرآني، وهي من أبرز عناصر الجمال فيه، فالقرآن سحر العرب بقيمته التصويرية قبل أن يسحرهم بقداسته الدينية [5]. وعليه فإن استحضار الكاتب لهذه الصورة أثّر تأثيراً واضحاً في سياقاته التي أصبحت تزخر بثقافة قرآنية متميزة.

---

(1) القيسي، خطاب المقام النبوي والروضة الشريفة في نثر لسان الدين، ابن الخطيب، ص176.

(2) علاونة، شريف راغب، النقد الأدبي في الأندلس (عصر المرابطين والموحّدين 479-646هـ)، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1424-2005)، ص243.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص430.

(4) سورة الفيل، الآيات1-5.

(5) العاني، أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي، ص167.

5.3 قصة مريم عليها السلام:

لقد تناول الكتاب الأندلسيون جوانب محددة من شخصية مريم عليها السـلام[1]، التي طالما اقترن ذكرها بالطهر والنقاء، فأخذوا من سيرتها أحداثاً معينـةً كحادثـة المخاض والرطب الواردة في قوله تعالى: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً}[2].

وربما يرجع السبب في قلة ورود تلك القصّة –كما يقول العاني- إلـى تجنـب الوقوع في خلافات مع سكان الأندلس من النصارى[3]، وأول ما يطالعنا فـي هـذا السياق ما جاء في رسالة أبي الطيب بن منِّ الله القروي[4] التي ردّ بها علـى أبـي عامر بن غرسيه[5] –وكان ابن غرسية قد خاطب أبا عبدالله بن الجزار[6] برسـالة يعاتبه فيها، ويفضل العجم على العرب- حيث أجاد أبـو الطيـب فـي ردّه الـذي استحضر في جانب منه قصّة مريم وابنها المسيح عليهما السلام، إذ يقول: "وأما أنتم

(1) لمزيد من التفاصيل حول قصة مريم، انظر: المولى، محمد أحمد جاد ومجموعـة مـؤلفين، قصص القرآن، تحقيق: يوسف البقاعي، ط1، الأضـواء، بيـروت، 1415هـ-1994م، ص313-323.

(2) سورة مريم، الآيتان25، 26.

(3) العاني، أثر القرآن في الشعر الأندلسي، ص151.

(4) هو الفقيه الأديب أبو الطيب عبد المنعم بن من الله الهواري القيرواني، قدم الأندلس وحـدّث بشرقها عن أبي بكر محمد بن البر وكان أديباً شاعراً، توفي سنة 493هـ، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص722.

(5) هو أبو عامر أحمد بن غرسية من أبناء نصارى البشكنس، سُبي صـغيراً وأدّبـه مجاهـد مولاه، ملك الجزر ودانية، وكان بينه وبين أبي جعفر بن الجزار الشاعر صحبة أوجبت لـه أن استدعاه من خدمة المعتصم بن صمادح ملك المرية، آخذاً عليه ملازمة مدحـه وتركـه ملك بلاده. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص704.

(6) هو محمد بن أحمد الأنصاري الأوسي، من أهل سرقسطة، وسكن بلنسية، يُكنى أبا عبـدالله، ويعرف بابن الجزار، وكان أديباً شاعراً، راوية مكثر الخط. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص704.

معشر النصارى، الخسارى، فقد اتخذتم المسيح وأمه إلهين من دون الله، وقلتم بالمحال، قلتم: إله واحد وأب وابن وروح قدس"[1]، يُلاحظ أنّ الكاتب استعان بالقرآن الكريم لإبراز جانب من تلك القصّة التي توبّخ النصارى عندما قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فاستحضر قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ}[2].

إن استحضار الكاتب لقصّة مريم عليها السلام يكمن في لفظة "أمه" في قوله: "فقد اتخذتم المسيح وأمه إلهين من دون الله"، حيث استلهم الكاتب النص القرآني وعبّر عنه بسياق جديد أكسب نصّه عمقاً وثراءً، وحرّك في فكر القارئ ووجدانه مشاعر وأجواء دينية لها دلالات ومعانٍ كثيرة.

ويستدعي ابن شهيد في رسالة التوابع والزوابع صورة المشهد القرآني الذي يصف حالة مريم حينما أجاءها المخاض، جاعلاً من توظيف النص القرآني أنموذجاً يحتذى في التعبير عن قدرة الكاتب الأندلسي على استلهام النص المقدّس، عن طريق استيحاء أفكاره ومعانيه وصوره، يقول في تلك الرسالة مخاطباً صديقه أبا بكر يحيى بن حزم[3]: "حيث لمحت صاحبك الذي تكسبته ورأيته قد أخذ بأطراف السماء، فألف بين قمريها ونظم فرقديها... فقلت: كيف أوتي الحكم صبياً، وهزّ بجذع نخلة الكلام

---

(1) عيسى، رسائل أندلسية، ص214.

(2) سورة المائدة، الآية: 116.

(3) أبو بكر يحيى بن حزم، شيخ من شيوخ الأدب، وهو الذي خاطبه ابن شهيد برسالة التوابع والزوابع، وهو من بيت آخر غير بيت الفقيه ابن حزم. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص245. غير أنّ بعضهم (د. أحمد هيكل) يرى أن أبا بكر الذي وجّه إليه ابن شهيد رسالته هو أبو بكر الكاتب المعروف بـ(إشكمياط)، وذلك لأن هذا الكاتب قد اتهم ابن شهيد بالسرقة وبأنه يستخرج كنوز غيره، أما أبو بكر الذي قصده ابن بسام وتبعه ابن سعيد في المغرب والحميدي في جذوة المقتبس -كما حدّث شقيقه أبو محمد بن حزم في طوق الحمامة- فقد مات صغيراً بداء الطاعون، الذي عمَّ أرجاء قرطبة سنة 401هـ، أي قبل أن يؤلف ابن شهيد رسالته بزمن طويل. انظر: سلامة، الأدب العربي في الأندلس، تطوره موضوعاته، وأشهر أعلامه، ص493.

فاساقط عليها رطباً جنياً"[1]، فقد استمدَّ هذا السياق من قوله تعالى: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً}[2]، إذ حوّر التعبير القرآني تحويراً طفيفاً ووفق بين الاستعمال الأصيل للتعبير والوظيفة الجديدة له[3]، فنخلة مريم التي اخضرَّ جذعها اليابس بقدرة الله تعالى[4] أصبح نخلة كلام عند ابن شهيد الذي أظهر قدرته البلاغية، وبراعته في تطويع الصورة القرآنية وصياغتها بما يناسب هدفه وتوجهه، إذ إنّ الصورة القرآنية اختفت أو كادت تختفي وراء صورة ابن شهيد التعبيرية، لتساهم مخيلة المتلقي في الكشف والربط بين الصورتين[5].

وقد أبدع ابن بسام في كيفية اختيار الوسيلة التي تناسب القصة القرآنية من خلال طرق ووسائل، استطاع من خلالها تحوير الصورة في المشهد القرآني لتحقيق غايات استقاها من علوم البلاغة العربية[6]، يقول في ترجمته لأبي بكر عبدالعزيز البطليوسي[7]، وأخويه أبي محمد طلحة[8]،وأبي الحسن محمد : "ثلاثة كهقعة الجوزاء، وإن أربوا على الشمس في السَّنا والسناء، امتروا أخلاف الفخر فأمطرتهم شبعاً ورياً وهزواً بجذوع النظم والنثر فاساقطت عليهم رطباً جنياً"[9]، فقد استعان

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص246.

(2) سورة مريم، الآية: 25.

(3) القيسي، خطاب المقام النبوي والروضة الشريفة في نثر لسان الدين ابن الخطيب، ص177.

(4) المولى، قصص القرآن، ص328.

(5) شراد، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، ص121.

(6) الربيعي، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، ص287.

(7) هو أبو بكر عبدالعزيز بن سعيد، كان من جلة الأدباء ورؤسائهم، كاتباً مترسلاً، كتب للمتوكل ابن الأفطس ثم لابن تاشفين من بعده، توفي سنة 520هـ. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص753.

(8) أبو محمد طلحة بن سعيد، أحد الأدباء الأذكياء، كان صديقاً لأبي بكر بن العربي، وتوفي في حياة أخيه أبي بكر، وكان لأخيهما محمد بن سعيد مكانة مشابهة، إذ كتب للمتوكل بن الأفطس. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص753.

(9) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص754.

ابن بسام في مدحه وثنائه على ممدوحيه بمشهد قرآني تمثل في عبارته الأخيرة من النص، إذ يستطيع القارئ أن يكتشف ثراء هذه الصورة التعبيرية حينما يربطها بمشهد قرآني مشابه لها، وهذا المشهد يتمثل في قوله تعالى: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً }[1]، حيث استجلب الكاتب الصورة القرآنية ليزيد صورته التعبيرية وضوحاً في ذهن المتلقي ذي الثقافة القرآنية، وهذا بلا شك، يعبّر عن موهبة بلاغية واضحة، وقدرة فائقة على تطويع النص المقدس لخدمة نصّه النثري.

6.3 قصص أخرى:

لقد وردت إشارات قليلة إلى قصص أخرى في النثر الأندلسي، فكان لقصّة يوسف u تأثير وجداني في نفس الكاتب الأندلسي، فثمّة أحداث ومواقف تجلّت في تلك القصة، فانعكست آثارها في نثره وحركت عواطفه، فربط تجربته بتجربة ذلك النبي ليعبّر من خلالها عن مواقفه وتجاربه، فالوزير أبو عبدالله بن اللوشي[2] يربط اشتياقه إلى صديقه الوزير أبي محمد عبد الحق بن عطية وبعده عنه، باشتياق يعقوب والد يوسف عليهما السلام إلى ابنه يوسف، ومعاناته التي طالما أفقدته نور بصره في قصّته مع أبنائه[3]، إذ يقول:و"أيم الله يا سيدي الأعلى، لك درّ بعدك المحيا، ونغّص فراقك الدنيا، واقشعرّت بعدك النعمى، وأصبح طرف لا أراك به أعمى، إلى أن وافى من فلان راجلك بشيراً، فاغتديت –لعمر الله- جذلاً وارتددت بصيراً"[4]، فقد استلهم الكاتب بعض المعاني والصور القرآنية في قصّة يوسف

---

(1) سورة مريم، الآية: 25.

(2) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن آلمذحجي، من أهل غرناطة، نسبة إلى ألوشة من حواضر غرناطة، كان فقيهاً مشاوراً، توفي قبل الأربعين وخمسمائة. انظر: ابن خاقان، القلائد، ص674.

(3) لمزيد من التفاصيل حول قصة يوسف، انظر: المولى، قصص القرآن، ص113-156.

(4) ابن خاقان، القلائد، ص681.

ببراعة، إذ لم يدرج فيها مقطعاً بحذافيره أو جزءاً من صورته اللفظية[1]، بل اتكأ على الإيحاء كوسيلة من وسائل توظيف القصص القرآني، والإيحاء في العمل الأدبي ميزة رئيسة –كما يقول السلامي- لأنها تبعث الحركة، وتظلل الصور بظلال من الحياة، وتجعل العبارة حية ناطقة، والمعنى غزيراً خصباً مشخصاً، وتترك المخيلة لتخييل أبعاد الصورة وآفاقها[2]، ولننظر إلى المشهد القرآني الذي دار في ذهن الكاتب، يقول تعالى: {فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً}[3]، إنَّ في هذا التوظيف القرآني إيحاءً لا حدود له، واستنفاراً لكل طاقات الحس والوجدان، صاغه الكاتب الأندلسي الذي تشرّب علوم القرآن وشرع يسخرها في خدمة رسائله، فجاءت تلك الرسائل كاشفة عن مدى تأثير القرآن الكريم في ثقافته، ومدى قدرته على تطويع النص القرآني لخدمة فكرته مع الإفادة من فيض طرائقه الأسلوبية.

وفي قصة سليمان u التي تضمّنت مظاهر كثيرة لنعم الله التي أسبغها على عبده سليمان، يختار الكاتب الأندلسي من المعاني التي تضمنتها تلك القصّة ما يناسب غرضه[4]، فيوظفها توظيفاً فنياً يكسب نصّه عمقاً وثراءً، ويغني تجربته النثرية ويمنحها بعداً جديداً يتفق مع تصوراته الذاتية[5]، يقول الأديب الكاتب أبو الربيع سليمان بن أحمد القضاعي في رسالة خاطب بها يوسف بن حسداي الإسلامي[6]، وقد طلب منه آلة نجار خدم عنده، فوجهه بها حاشا الميشار: "وما

---

(1) القيسي، خطاب المقام النبوي والروضة الشريفة في نثر لسان العرب، ابن الخطيب، ص178.

(2) السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن، مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله، تونس، 1980م، ص154-155.

(3) سورة يوسف، الآية: 96.

(4) الربيعي، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، ص239.

(5) الياسين، استيحاء التراث في الشعر العربي الأندلسي، ص97.

(6) هو أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي، جرى في ميدان البلاغة والأدب، ونال حظّاً من الشعر والنثر، وبرع في علم العدد والهندسة والنجوم، من بيت أشراف اليهود بالأندلس. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص457؛ ابن خاقان، القلائد، ص545.

أظنك جهلت أن الخشبة التي أحببت أن تؤشر عندي لم يكن فيها حيوان غير الأرضة[1] التي أكلت منسأة سليمان u "[2]، فالأثر القرآني واضح في هذه العبارة التي استمدها من قوله تعالى: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ}[3]، فالقضاعي يعرض بابن حسداي لأنه كان –قبل إسلامه- يهودياً، ويمضي في هذا التعريض بقوله: "إن الخشبة التي كان يريد أن ينشرها إنما فيها الأرضة التي أكلت منسأة سليمان u [4]، وإذا علمنا أن الكاتب اسمه سليمان أيضاً، فإن هذه الرسالة تمثل تفنناً في استخدام الرمز"[5].

لقد استطاع القضاعي أن يولد معاني خطابه من القرآن الكريم، ويستمد من مفرداته وصيغه ومعانيه ما يثبت قدرة الكاتب الأندلسي على تحوير النص القرآني وتقديمه في قالب نثري جديد يحمل دلالات متعددة[6]، فالمعنى القرآني كان حاضراً في ذهنه، فأفاد منه ما مكّنه من الارتقاء بأساليب تعبيره والتفنن بها، وتوليد معانٍ جديدة تخدم أفكاره وتقويها.

وأمّا قصة يونس u فقد تناول الكاتب الأندلسي جانباً منها، وكعادته فإنه يسعى في توظيف القصة القرآنية إلى اختيار الجوانب التي تناسب موضوعاته، ذلك أنّ القصّة تحقق غرضها عن طريق الجمال الفني الذي يجعل ورودها إلى النفس أيسر، ووقعها في الوجدان أعمق[7]، يقول ابن حسداي في رسالة كتبها على لسان الطبيب الملقب بالبُرذقون إلى المنجّم بلاردة الملقب بالعافية: "نسأل الله أن يعزّنا بأعلامك،

---

(1) الأرضة: دودة بيضاء تشبه النحلة تظهر في أيام الربيع. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص118. وهي إشارة إلى تلك الحشرة التي أكلت عصا سليمان u عندما نزل به الموت.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص500-501.

(3) سورة سبأ، الآية: 14.

(4)عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص294.

(5) المرجع السابق، ص295.

(6) القيسي، فايز عبد النبي، (2005)، أدب الحكمة في درر الكلم وغرر الحكم للسيوطي، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد العشرون، العدد الثامن، الكرك، الأردن، ص24.

(7) قطب، التصوير الفني في القرآن، ص146.

ونبتهل إليه في أن يكفينا أشراطك، ويزوي عنا تعديك وإفراطك، حتى إذا ظلمت وجرت وغيّرت وبدلت، قذف بك في قرار اليمّ العظيم، والتقمك الحوت وأنت مليم، إنّ الله بعباده لرؤوف رحيم"[1] لقد استلهم الكاتب قوله تعالى : {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ}[2]، وهي إحدى الآيات الكريمة التي عرضت لقصة يونس u [3]، حيث لجأ الكاتب في توظيفه للنّص القرآني إلى استخدام تقنية التحوير، وذلك بإدخال تغييرات تمثلت في تغيير الضمائر من الغائب إلى الحاضر، فأدخل الجملة القرآنية المحوّرة إلى نصّه، فزادت المعنى جمالاً وأكسبت نصّه ثراءً، وهذا يدل على سعة الثقافة القرآنية لدى الكاتب الأندلسي، إذ لو لم يمتلك تلك الثقافة العميقة لما استطاع أن يوظف الآيات القرآنية بالدقة التي نراها في سائر نصوصه.

وفي حديث الكاتب الأندلسي عن رحلة الشتاء والصيف، يتضح لنا اهتمامه بالصورة التي تكشف عناصر الجمال، واهتمامه أيضاً بأداة التعبير، ومدى ما تملكه من إيحاء وقدرة على التصوير[4]، فقد منح نثره بعداً تصويرياً من خلال ربطه بالقصة القرآنية، يقول ابن بسام في ترجمته للكاتب أبي محمد عبدالمجيد بن عبدون: "أعجوبة الليالي، وذروة المعالي، ذو لسان يفري ظبة السيف، وصدر يسع رحلة الشتاء والصيف"[5]، فعبارته الأخيرة مستمدة من قوله تعالى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ}[6]. وإذا علمنا أن رحلتي الشتاء والصيف كانتا تعبيراً عن الرحلات التجارية التي كانت تسيّرها قريش، إذ كانوا يسافرون إلى اليمن جنوباً في فصل

---

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص484.

(2) سورة الصافات، الآية: 142.

(3) لمزيد من التفاصيل حول قصّة يونس u . انظر: إسماعيل، قصص القرآن من آدم u إلى أصحاب الفيل، ص321-325.

(4) السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، ص51.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص669.

(6) سورة قريش، الآيتان 1، 2.

الشتاء، وإلى بلاد الشام شمالاً في فصل الصيف[1]، فإن ابن عبدون –في نظر ابن بسام- يتميز في الحكمة وسعة الصدر، بل إن سعة صدره تساوي المسافة بين مكان الرحلتين، وعليه فإن ابن بسام تأثر بالصورة القرآنية التي قامت بدور كبير في تكييف الوضع الفني والاعتبارات الفنية الشكلية[2]، وهذا يدل على أنّ الثقافة القرآنية تربّعت على قلب الكاتب الأندلسي، فأفاد منها ما جعل نصوصه قطعاً نثرية نابضة بالحياة.

وفي رسالة خاطب فيها الأديب أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة القرطبي صديقه ابن النغريلي الإسرائيلي مشيداً بصفاته، فيقول: "فتى كرم خالاً وعماً، وشرح من المجد ما كان مُعمّى... يأمر ويمير، ويأجر ويجير، مأوى السماح والصّيف ورحلة الشتاء والصيف"[3]، فقد وظّف الصورة التعبيرية لتلك الرحلة بكل ما تحمل من معان في مدح صديقه، إذ استعان بالتعبير القرآني: {إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ}[4]، الذي يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة، فاستحالت القصة مشهداً يجري[5] بكل إيحاءاتها وصورها، وهذا يكشف واحداً من أشكال التعامل النثري مع القرآن الكريم من لدن الكاتب الأندلسي.

ويشير الكاتب الأندلسي إلى قصة القرية التي كانت حاضرة البحر، وهم اليهود الذي احتالوا على شرع الله تعالى، إذ أتوا من حيث نهاهم الله {وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً}[6]، فعاقبهم سبحانه بأن جعلهم قردةً

---

(1) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، تفسيرلقلرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، 1421هـ، 2001م، ج3، ص580.

(2) السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، ص50-51.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص762.

(4) سورة قريش، الآية: 2.

(5) قطب، التصوير الفني في القرآن، ص154.

(6) سورة النساء، الآية: 154.

خاسئين[1]. يقول الكاتب أبو المطرف ابن الدباغ في رسالة يعاتب فيها ابن حسداي لابتعاده عنه، وتنكره له وعدم مكاتبته له، ويدعوه فيها إلى الابتعاد عن ملذات الدنيا ومباهجها الزائفة[2]: "كنت قد عهدتك لا تمتنع عن مداعبة من يداعبك، ولا تنقبض عن مجاوبة من يخاطبك، فمن أين حدث هذا التعالي؟ عرفني جعلت فداك! وأنت الآن لا شك تتفقه في الأحكام، وتتطلع شريعة الإسلام، وهبك تحليت بهذا السمت، وتوشحت لهذا الدست، ما تصنع في قصة السبت؟ دع هذا التخلق وارجع إلى أخلاقك"[3]، إن قصة السبت التي أشار إليها ابن الدباغ إنما هي إشارة إلى أن ابن حسداي كان يهودياً قبل إسلامه، وقد التصقت تلك القصة ببني إسرائيل، فمسخهم الله قردةً بعد أن كانوا بشرا[4]، وجعل مسخهم عبرةً للآخرين[5]، قال تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ، فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}[6]، فقد استمد ابن الدباغ عبارته: ما تصنع في قصة السبت؟ من الآيات القرآنية السابقة، حيث عمد إلى توظيف المحور المهم وهو قصة السبت، وقدّمه بطريقة فنيّة كشفت عن مدى قدرته على استثمار طاقات النص المقدّس، واستلهام معانيه وصوره، وتقديمها بطريقة فنيّة جديدة ساهمت في خدمة أفكاره التي قدّمها.

ويستحضر الكاتب الأندلسي قصة السفينة[7] وهي التي تمثل جانباً من لقاء موسى u بالخضر، وقيام الخضر بخرق السفينة، التي أقلتهما في البحر، وإنكار

---

(1) الصابوني، صفوة التفاسير، ص.

(2) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص386-387.

(3) ابن خاقان، القلائد، ص318.

(4) قيل إنَّ مسخهم كان معنوياً بأن جعل طباعهم كطباع القردة، وقيل كان مسخاً حقيقياً. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص55-57.

(5) المرجع السابق، ص56.

(6) سورة النساء، الآيتان65، 66.

(7)مزيد من التفاصيل حول قصّة موسى والخضر والسفينة . انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص185-186؛ المولى، قصص القرآن، ص202-207.

موسى u لفعلته، ثم تأويل الخضر لذلك الصنيع وبيان السبب الذي حدا به للقيام بهذا العمل، وهو وجود ملك ظالم يتبع كل سفينة صالحة، يأخذها من أهلها عنوة ويستولي عليها غصباً[1]، حيث استلهم الكاتب الأندلسي هذه القصة، ووظفها في كتاباته مستشهداً بها ومسقطاً إيحاءاتها على سياقه الجديد كوسيلة مثلى تسعف على تصوير الحدث، ففي معرض ترجمة ابن خاقان للمعتمد بن عباد وإيراد جملة من الأخبار أيام حكمه يقول: "وكان المعتصم بالله بن صمادح[2] قد اختص بأمير المسلمين[3] –رحمه الله- أيام إجازته إلى جزيرة الأندلس حين فغر العدو عليها فماً وأرسل دموع أهلها دماً، وملأ نفوسهم رعباً، وأخذ كل سفينة غصباً"[4]، يلاحظ أن الكاتب استمدَّ جملته الأخيرة من قوله تعالى: {وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً}[5]، مجرياً تحويراً طفيفاً يتناسب مع سياقه، فاستطاع أن يجعل اللفظة القصصية القرآنية عوناً له في التعبير عمّا يريد[6]، ليجيئ بعد ذلك دور المتلقي في الكشف عن صورة المشهدين: مشهد الملك الظالم الذي يأخذ السفن عنوةً وظلماً، ومشهد العدو المتسلط الذي يقهر الناس ويذلهم.

---

(1) الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص184.

(2) هو أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح، تسمّى بالمعتصم والواثق بفضل الله، ولد سنة 429هـ، تولى الحكم بعد والده سنة 444هـ، وهو ابن أربع عشرة سنة، استمرت إمارته بالمرية 40 سنة، توفي سنة 484هـ، وهو مجاهد بجيش المرابطين. انظر: ابن خاقان، المطمح، ص301، ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص729.

(3) هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الصنهاجي الحميدي، (410-500)، أمير المسلمين وملك الملثمين، غزا الأندلس فصالحه أهلها على الطاعة، وتوفي بمراكش. انظر: ابن خاقان، القلائد، ص70.

(4) ابن خاقان، القلائد، ص70-71.

(5) سورة الكهف، الآية: 79.

(6) الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص532.

ومن القصص التي تناولها الكاتب الأندلسي قصة الملكين هاروت وماروت[1]، وفتنة السحر الذي انتشر بين الناس آنذاك، وقد وردت هذه القصة في قوله تعالى: {وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ}[2]، فقد اتخذ ابن بسام من هذا السحر مثالاً استعان به في التعبير عن مكانة ومنزلة الوزير أبي العلاء زهر بن عبدالملك [3]، حيث يقول: "نشأ بشرق الأندلس والآفاق تتهادى عجائبه، والشام والعراق تتدارس بدائعه وغرائبه، ومال إلى علم الأبدان، فلولا جلالة قدره، لقلنا جاذب هاروت طرفاً من سحره"[4]، فقد كان ابن زهر طبيباً بارعاً، وبلغ من إعجاب ابن بسام به وثنائه عليه تلك العبارة التي مدحه بها، إذ لولا مكانة ابن زهر وقدره الجليل، لظن الناس أنه يستعمل السحر، لما يتميز به من قدرة وبصيرة في معالجة المرضى، وما من شك في أن ابن بسام استمدَّ هذه الفكرة من قوله تعالى: {يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ}[5]، وهذا يدل على أنّ المعاني التي تختزنها الآية القرآنية الكريمة كانت قريبة جداً من نفس الكاتب الأندلسي، فاستطاع أن يوظّفها للتعبير عن أفكاره، وأما طريقة تناوله للمشهد القرآني، فكانت طريقة إشارية دون تفصيل للمشهد، إذ ذكر طرفاً منه وترك للمتلقي خيار التحليق في فضاءاته.

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول قصة هاروت وماروت. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص73-74؛ قطب، قصص القرآن، ص156-167.

(2) سورة البقرة، الآية: 102.

(3) هو أبو العلاء زهر بن عبدالملك بن زهر الأيادي، شاعر طبيب نشأ بإشبيلية ومال إلى علم الطب منذ الصغر، من فلاسفة الأندلس وأطبائه المشهورين، كان من أطباء المعتمد بن عباد، ثم أصبح طبيباً ليوسف بن تاشفين بعد نكبة المعتمد، توفي بإشبيلية سنة 525هـ. انظر: ابن خاقان، القلائد، ص424، ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص218.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص220.

(5) سورة البقرة، الآية: 102.

ويشير ابن عبدون في رسالة كتبها للفتح بن خاقان إلى ذاك السحر، موظفاً إيـــاه في باب المدح، حيث يقول: "وقد تولى إحساني وأرجحنّ إحسانك بعينين، من النظم والنثر نجلاوين، لو رقرقهما لنوء الثريا لتهلل برقها، واستهل ودقها، وفصلين مـــن دُرٍّ وياقوت، بل أصلين من سحر هاروت وماروت"[1]، يستدعي الكاتب فـــي ثنائـــه على ابن خاقان وقدرته البيانية صورة السحر، مستغلاً قدرة المشهد القرآنـــي علـــى تداعي المعاني والصور في مخيلة المتلقي ذي الثقافة القرآنية[2]، وإن دلَّ هذا علـــى شيء إنما يدل على أن القرآن الكريم كان رافداً مهماً في ثقافة الكاتـــب الأندلســـي ورابطاً متيناً لنثرهم الذي لا يكاد يخلو من إيراد معنى من معانيه.

لقد أسهمت القصة بدورها فيما يهدف إليه القرآن الكريم من التوجيه والإرشـــاد إلى خيري الدنيا والآخرة، بما فيها من العبرة والعظة[3]، فاستلهم الكاتب الأندلسي ما تنطوي عليه تلك القصة، وأضاف إليها ما يتطلبه سياقه الأدبي، ثمّ صـــاغها بلغتـــه وأسلوبه الخاص، فظهرت القصة القرآنية في ثنايا رسائله وجل كتاباته دليلاً واضحاً يثبت أنّ القرآن الكريم شكّل جزءاً كبيراً من رصيده الثقافي.

---

(1) ابن خاقان، القلائد، ص425.

(2) شراد، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، ص116.

(3) هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم، ص169.

الفصل الرابع
الفاصلة القرآنية

شغلت الفاصلة القرآنية تفكير النقّاد والباحثين قديماً وحديثاً، فتناولوها بتعريفاتٍ مختلفة "ولم يمنعهم الاتفاق على مصطلح "الفاصلة" أن يختلفوا في تعريفه"[(1)].

ومن تعريفاتهم ما ورد في مادة "فصل" من لسان العرب قول ابن منظور: أواخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمنزلة قوافي الشّعر -جلّ كتاب الله عزّ وجل- واحدتها فاصلة، ثم قال: وقوله عز وجل: "كتاب فصلناه" له معنيان: أحدهما تفصيل آياته بالفواصل والمعنى الثاني في "فصلّناه" بيّناه"[(2)].

ومنها قول الرماني أبي الحسن علي بن عيسى (296-386هـ): الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني[(3)]، وقريب من هذا التعريف قول الباقلاني[(4)]: الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني[(5)].

ثم عرفها محمد الحسناوي –حديثاً- تعريفاً جامعاً مانعاً بقوله: "الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر، والتفصيل: توافق أواخر الآي في حروف الرويّ، أو في الوزن، مما يقتضيه المعنى، وتستريح إليه النفوس[(6)].

---

(1) الحسناوي، محمد، الفاصلة في القرآن، ط 2، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 1421هـ/2000م، ص26.

(2) المرجع السابق، ص25.

(3) نصار، حسين، الفواصل، ط1، مكتبة مصر، الفجالة، 1999، ص191.

(4) هو محمد بن الطيب (338-403هـ)، قاضٍ من كبار علماء الكلام، صاحب كتاب إعجاز القرآن، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص269.

(5) لاشين، عبد الفتاح، الفاصلة القرآنية، دار المريخ للنشر، الرياض، 1402هـ/1982م، ص38.

(6) الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص29.

ورغم تعدد هذه التعريفات[1] وتباينها، فقد لاحظ الحسناوي أنَّ ثمّة مواضع اتفاق بين تلك التعريفات، كموقع الفاصلة آخر الآية، والتشاكل في الحروف والمقاطع، ودورها في تحسين المعاني واستراحة الكلام، ثم توضيحها بالمقارنة إلى القافية أو السجع أو الاثنين معاً[2].

وللفاصلة علاقة وثيقة بما قبلها من النص القرآني في الآية، وهي من حيث ائتلافها مع المعنى تنحصر في أربعة أنواع[3]، هي: التمكين[4] والتصدير[5] والتوشيح[6] والإيغال[7].

ولما كانت الفاصلة القرآنية عنصراً مهماً في النّص القرآني، فقد تنبّه العلماء إلى بيان وظائفها، فحددوا هذه الوظائف في تلخيص معنى الآية تلخيصاً يبرز فيه المعنى المراد منها، ثم إتمام النغم الموسيقي للآية وإبرازه في أحسن صورة[8]، لذا نجد السامرائي يؤكد هذا المعنى في كتابه التعبير القرآني، فيقول: "إن القرآن الكريم

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول تعريف الفاصلة: انظر: الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص26-29، نصار، الفواصل، ص191-192.

(2) الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص29.

(3) الكواز، محمد كريم، أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ط1، منشورات جامعة السابع من أبريل، الجماهيرية العربية الليبية، 1425هـ، ص22.

(4) التمكين: أن يمهّد قبل الفاصلة، فيتعلق معناها بالتمهيد تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم، انظر: لاشين، الفاصلة القرآنية، ص39 (للتمثيل انظر: سورة السجدة: الآية: 26).

(5) التصدير: هو أن تكون اللفظة نفسها تقدمت في أول الآية: ، انظر: لاشين، الفاصلة القرآنية، ص40 (للتمثيل انظر: سورة طه، الآية: 61).

(6) التوشيح: أن يكون في أول الآية: معنى يشير إلى الفاصلةحتى تعرف منه قبل قراءتها ، والفرق بينه وبين التصدير أنَّ دلالة التوشيح معنوية ودلالة التصدير لفظية، انظر: الكواز، أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ص23 (للتمثيل انظر: سورة يس، الآية: 37).

(7) الإيغال: أن ترد الآية: بمعنى تام ثم تأتي الفاصلة بزيادة في ذلك المعنى، انظر: لاشين، الفاصلة القرآنية، ص42 (للتمثيل انظر: سورة النمل، الآية: 80).

(8) نصار، الفاصلة، ص196-197.

راعى في كل ذلك أيضاً ما يقتضيه التعبير والمعنى، ولم يفعل ذلك للانسجام الموسيقى وحده"، فهو لم يختم آية الشعراء بكلمة (هارون) وآية طه بكلمة (موسى) مراعاة للانسجام الموسيقي وحده، بل اقتضاه الكلام من جهة أخرى، فهو راعى الانسجام الموسيقي وما يقتضيه الكلام"[1].

وثمة قضية مهمة في موضوع الفواصل يلحظها قارئ القرآن هي توافق تلك الفواصل مع آياتها اتفاقاً يلائم نوع الصوت، وفي هذا المعنى يقول الرافعي: "وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامّة للأبعاد التي تنتهي بها في جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت، والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب"[2].

ومن خلال تتبع الدارسين للاستخدام القرآني للفاصلة وجدوا أنها تأتي على صور مختلفة[3]، وفي جميع هذه الصور فإنَّ هذه الفاصلة تحمل شحنة المعنى المتمّم للآية، ووفرة النغم، والسعة في الحركة الحرة[4].

وتجيء الفواصل على وجهين، أحدهما على الحروف المتجانسة (المتماثلة)، وثانيهما الحروف المتقاربة كالميم مع النون، والدال مع الباء، ويُستحسن في الفواصل الحروف المتقاربة "لأنَّه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع، لما فيه من البلاغة وحُسن العبارة"[5].

---

(1) السامرائي، التعبير القرآني، ط6، ص222.

(2) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط8، دار الفكر العربي، القاهرة، 1416هـ/1995م، ص210.

(3) لمزيد من التفاصيل حول صور استخدام القرآن الكريم للفواصل، انظر: شيخ أمين، بكري، التعبير الفني في القرآن، ط1، دار العلم للملايين، 1994، ص214-215.

(4) المرجع السابق، ص215.

(5) خلف، محمد؛ وسلام، محمد زغلول، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني، ط2، دار المعارف بمصر، 1968، ص98.

ولأهمية الفواصل قسّمها البديعيون إلى أقسام عدّة[1]؛ فـذكروا المطـرف [2] والمتوازي[3] والمرصّع[4] والمتوازن[5] والمتماثل[6]. وذكروا أنَّه لا يحسن منثـور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً[7].

وقد نشب اختلاف بين دارسي الفواصل أهي سجع أم ليسـت بسـ جع[8]، إذ اعترض كثير من النقاد على استخدام كلمة سجع في الإشارة إلى الخطاب القرآني، وفي رأيهم أن تسمّى الكلمة الأخيرة في الآية القرآنية فاصلة، لا أن تسمّى بالسجع،

---

(1) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص104.

(2) المطرف: أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقا في حروف الروي، انظر: لاشين، الفاصلة القرآنية، ص19 (للتمثيل انظر: سورة نوح، الآيتان: 13-14).

(3) المتوازي: أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف الروي، ولم يكن ما في الأولى مقـابلاً لمـا في الثانية في الوزن والتقفية، انظر: لاشين، الفاصلة القرآنية، ص19 (للتمثيل انظر: سـورة الغاشية، الآيتان: 13-14).

(4) المرصّع: أن تتفق الكلمتان في الوزن دون الروي، ويكون ما في الأولى مقـابلاً لمـا فـي الثانية، انظر: شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ص214 (للتمثيل انظر: سورة الانفطار، الآيتان: 13-14).

(5) المتوازن: أن تتفق الكلمتان في الوزن دون التقفية، انظر: الحسناوي، الفاصلة في القـرآن، ص247 (للتمثيل انظر: سورة الغاشية، الآيتان: 15-16).

(6) المتماثل:أن يتساويا في الوزن دون التقفية ويكون ما في الأولى مقابلاً لمـا فـي الثانيـة ، انظر: شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ص215 (للتمثيل انظـر: صـورة الصـافات، الآيتان: 117-118).

(7) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: 395هـ)، كتاب الصناعتين: الكتابـة والشعر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984، ص285.

(8) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظـر: لاشـين،الفاصـلة القرآنيـة، ص 9-16، الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص100-130.

وذلك رعاية للأدب وتعظيماً للقرآن الكريم[1]، وذهب آخرون إلى إثبات السجع في القرآن زاعمين أنَّه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان[2].

وقد أكدَّ العلماء أن الوزن والفاصلة في القرآن الكريم أكسبا نظمه قوة في التعبير، لأنَّ انسياب النغم الموسيقي في الآيات وتدفقه مع المعاني (قوةً وليناً) متمم للأثر القوي الذي يحدثه القرآن في نفوس السامعين عن طريق الحس السمعي[3].

وقد وجدت أكثر القوافي شيوعاً في القرآن هي (ين) و(ون) و(يم) و(وم)[4]، ولعلَّ مردّ ذلك التمكن من التطريب كما قال سيبويه: "إنَّهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون لأنهم أرادوا مد الصوت ويتركون ذلك إذا لم يترنموا"[5].

وقام الحسناوي في تقصّي أكثر الحروف ملاءمة للفاصلة القرآنية[6]، وخرج بنتيجة رقمية لهذه الحروف فجاءت حروف (ن، م، ر، د، ى) في البداية مع مراعاة الفرق الكبير بين عدد ورود كل منها[7].

إنَّ الذي نريد الوصول إليه بعد هذا التقديم الموجز لموضوع الفاصلة القرآنية هو مدى تأثر الكتَّاب الأندلسيين بهذه الفاصلة في كتاباتهم، لاسيَّما أنَّ الذي يقرأ النثر الأندلسي يجد نفسه أمام زخم هائل من تلك الفواصل التي تعد أثراً مهماً من آثار ثقافة الكاتب القرآنية، حيث استثمر هؤلاء الكتَّاب تلك الفواصل التي تعددت أنماطها من حيث البساطة أو تعقيد التركيب، إذ كان هنالك الفاصلة البسيطة التي تتركب من

---

(1) ستيوارت، ديفين، السجع في القرآن بنيته وقواعده، ترجمة محمد بريري، مجلة فصول، المجلد 12، العدد 3، 1993، ص11.

(2) الباقلاني، القاضي أبو بكر بن الطيب (ت: 403هـ)، إعجاز القرآن، تعليق أبو عبد الرحمن صلاح عويضة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984، ص285.

(3) سلام، محمد زغلول، أثر القرآن الكريم في تطور النقد العربي، تقديم محمد خلف الله أحمد، ط3، دار المعارف بمصر، 1968م، ص243.

(4) ستيوارت، السجع في القرآن بنيته وقواعده، ص12.

(5) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص105.

(6) العاني، أثر القرآن في الشعر الأندلسي، ص76.

(7) الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص296.

عنصر واحد، وهناك الفواصل ذات العنصرين، ثم الفواصل المركبة من ثلاثة عناصر حرفية فأكثر[1]، ووظفوها بأشكال متعددة من حيث تساوي الفصول أو طولها وقصرها[2]، توظيفاً يكشف عن صلتهم العميقة بالقرآن الكريم، ومعرفتهم لأسرار نظمه وإيقاعه.

وفوق ذلك كلّه تألّق الكتّاب الأندلسيون في تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص، فبدا الإيقاع الموسيقي في نثرهم متأثراً بالقرآن الكريم، ذلك "أن الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها ظاهرة واضحة في القرآن الكريم، وعميقة كل العمق في بنائه الفني"[3].

وقد مال الكتّاب إلى الاعتدال في استخدام هذه الفواصل، فلم يسرفوا في استخدامها، بل إنَّ فواصلهم كانت أقرب إلى العفو والطبع، إذ وردت في رسائلهم عفو الخاطر، بريئة من التكلف، قصيرة الفقرات[4]، وهذا ما سوف نلحظه من خلال الشواهد في الصفحات الآتية.

بناءً على النتيجة الرقمية لأكثر الحروف ملاءمة للفاصلة القرآنية، يطالعنا حرف النون[5] بلحنه الإيقاعي، فاصلة[6] ضمن عنوان الرسالة التي كتبها أبو محمد بن عبد الله بن عبد البر على ألسنة أهل بربشتر، عندما سقطت بيد الإسبان سنة (456هـ)، ووجهها إلى المسلمين في جميع أنحاء الأندلس ليستثير هممهم لنصرة إخوانهم في بربشتر، حيث حملت هذه الرسالة عنوان: من الثغور القاصية،

(1) القيسي، أدب الحكمة في درر الكلم وغرر الحكم للسيوطي، ص27.

(2) ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص238.

(3) قطب، التصوير الفني في القرآن، ص87.

(4) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص347.

(5) ورد حرف النون فاصلة قرآنية (3152) مرة، انظر: الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص296.

(6) أي روياً أو تقفية كما يسميه بعضهم.

والأطراف النائية... إلى من بالأمصار الجامعة والأقطار الشاسعة، بجزيرة الأندلس من ولاة المؤمنين، وحماة المسلمين، ورعاة الدين، من الرؤساء والمرؤوسين"[1].

إنَّ كلمات (المؤمنين، المسلمين، الدين) الواردة في عنـوان الرسـالة وردت فواصل قرآنية في مواضع عدة من آيات القرآن الكريم، كقوله تعالى: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)[2]، وقوله تعالى: (لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)[3]، وقوله تعـالى: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)[4].

لقد تأثر الكاتب بتلك الفواصل التي مكنته من تحقيق غايته، وهي استثارة همم المسلمين وحضهم على الجهاد لنصرة إخوانهم في بربشتر، ولعـلَّ اختيـاره لهـذه الفواصل توافق مع مضمون رسالته، حيث شكلت إيقاعاً موسيقياً نتج عـن تخيّـره للألفاظ ونظمها في نسق خاص[5]، ثم ملاءمته لما يقتضيه التعبير والمعنى، لهذا نجد في هذه الفواصل إيحاء بالشعور الذي تملك الكاتب لما حلَّ ببلاد المسلمين، ورغبـة في تحقيق النصر الذي طالما أصبح أملاً يراوده.

ومما تجدر الإشارة إليه كثرة ورود هذه الكلمات (المؤمنين، المسلمين، الدين) فواصل متتالية في السياق الواحد في رسائل الكتّاب الأندلسيين[6]، وهذا دليل علـى حضور الثقافة القرآنية في وجدانهم.

---

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص174.

(2) سورة الروم، الآية: 47، ولمزيد من التفاصيل حول ورود كلمة (مؤمنين) فاصـلة قرآنيـة انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص112-114.

(3) سورة النحل، الآية: 102، ولمزيد من التفاصيل حول ورود كلمة (مسلمين) فاصلة قرآنيـة انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص439.

(4) سورة الزمر، الآية: 11، ولمزيد من التفاصيل حول ورود كلمة (الـدين) فاصـلة قرآنيـة انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص329-330.

(5) قطب، التصوير الفني في القرآن، ص87.

(6) لمزيد من الشواهد انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص245، ص363.

ويوظف أبو عبد الرحمن بن طاهر هذه الفاصلة للتعبير عن فرحة النصر، حيث جاء في إحدى رسائله التي خاطب بها بعض إخوانه من الرؤساء في وصف ثغور البلاد وشوقه إلى لقاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وتطلعه إلى أن يحقق الله على يديه النصر الذي يعز الإسلام ويذل الكفر(1)، قوله: "فقلت: خبرٌ والله جلّى الشك من اليقين، وشفى صدور قوم مؤمنين، فالحمد لله رب العالمين"(2).

إنَّ الفواصل التي وقف عليها الكاتب (اليقين، مؤمنين، العالمين) جاءت فواصل قرآنية في آيات عدة من الذكر الحكيم، منها قوله تعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)(3)، وقوله تعالى: (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ)(4)، وقوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(5)، وقد اعتمد الكاتب هذه الفواصل في التعبير عن فرحة النصر باستعادة بعض ثغور الإسلام على يد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين؛ لذا جاء اختياره لهذه الفواصل مناسباً تماماً لموضوع رسالته، إذ تناسق التعبير مع الحالة التي أراد تصويرها، فساعد ذلك على إكمال معالم الصورة الحسية(6)، وزيادة على ذلك نلاحظ أن هذه الفواصل حققت لحناً إيقاعياً بشحنتها النغمية، ممّا يدل على أن الكاتب الأندلسي استجاب للحسّ الموسيقي في تلك الفواصل، واستثمر خصائصه النغمية، فعبّر عن أفكاره تعبيراً دقيقاً، أثبت من خلاله قدرته على التعامل مع اللغة القرآنية واستثمار طاقاتها بصور متعددة.

ويأتي حرف النون مسبوقاً بالواو فاصلة في معرض حديث ابن بسام عن فرار يحيى حفيد ابن ذي النون من طليطلة ودخول المتوكل إليها إذ يقول: "وأهل

(1) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص341.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص88.

(3) سورة الحجر، الآية: 99.

(4) سورة التوبة، الآية: 14.

(5) سورة الفاتحة، الآية: 2.

(6) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن (علوم القرآن وأصول التفسير)، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 1409هـ/1989م، ص193.

طليطلة الممتحنون، في غمرتهم ساهون، وعلى أعقابهم ينكصون، يخوضون ويلعبون"[1]، فقد جاءت كلمات (ساهون، ينكصون، يلعبون) فواصل قرآنية في قوله تعالى: (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ & الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ)[2]، وقوله تعالى: (قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ)[3]، وقوله تعالى: (فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ & الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ)[4]، فقد عمد الكاتب إلى توظيف هذه الفواصل متأثراً بالنص القرآني، إذ يبدو هذا التأثر من خلال استعانته بتقنية التحوير التي أتاحت له استعارة التعبير القرآني، وتوظيفه توظيفاً ينسجم مع طبيعة خطابه، ولعل الفواصل التي اختارها ابن بسام تتناسب مع طبيعة الموقف الذي يتحدث عنه، كما أنَّ أسلوب السجع الذي لوّن به حديثه حقق نوعاً من الإيقاع الصوتي المنسجم الذي يلفت نظر المتلقي.

ويتأثّر الكاتب أبو جعفر بن أحمد بالنص القرآني في الرسالة التي بعثها عن بعض أمراء الثغور الإسلامية إلى قوم من النصارى، يتهددهم ويتوعدهم لأنَّهم كانوا قد نقضوا عهدهم مع المسلمين، إذ جعل حرف النون –مسبوقاً بالواو-[5] فاصلة بسياقها القرآني الذي وردت فيه، مع مراعاة ما يلزم نصّه من متعلقات تقنية التحوير حيث يقول: "أيتها الشرذمة الطاغية، إنكم لنا لغائظون، وإنكم لتفسدون في الأرض ولا تصلحون"[6]، فـ(غائظون، وتصلحون) هي فواصل قرآنية وردت في قوله

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص160.

(2) سورة الذاريات، الآيتان: 10-11.

(3) سورة المؤمنون، الآية: 66.

(4) سورة الطور، الآيتان: 11-12.

(5) لمزيد من الشواهد حول ورود حرف النون المسبوق بالواو، فاصلة قرآنية، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص178، ص232، ابن خاقان، القلائد، ص313.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص767.

تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ & وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ & الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[2].

لقد اقتبس أبو جعفر الآيات القرآنية بعد أن أجرى تحويراً طفيفاً تمثّل بتغيير الضمائر التي نقلها من الغائب إلى الحاضر، فظلت الفاصلة بسياقها القرآني، ويرى الباحث أنَّ الكاتب نجح في توظيف فواصله بذاك السياق، ذلك أن سياقها يورد مواقف عناد وطغيان وفساد، تمثلت في موقف فرعون مع بني إسرائيل في الفاصلة الأولى، وموقف الرهط التسعة الذين كانت عادتهم الإفساد في الأرض إزاء دعوة نبي الله صالح u [3]، إذ لا يختلف موقف هؤلاء المعاندين من موقف النصارى الذين خاطبهم أبو جعفر في رسالته.

ومما يلاحظ على رسالة أبي جعفر، أنَّ القرينة الثانية في فواصله جاءت أطول من الأولى، وقد قسّم ابن الأثير السجع إلى أقسام ثلاثة، منها: أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول[4]، بحيث يكون الطول معتدلاً، أما إذا كان الخروج كبيراً فإنَّه يستقبح في نظره[5].

فقد عمد الكاتب إلى البناء المتمثل بالأزواج غير المتساوية الأجزاء، وهو نوع لا يحصل فيه التوازن إلاَّ بين بعض عناصر الأزواج؛ لأنَّ النثر المرسل الذي يتخلل الأزواج يقود إلى غياب التوازي[6]، ولربما كان لجوء أبي جعفر إلى هذا اللون ضرورة تمثلت في طريقة محاولة اقتباس الفواصل بنصّها القرآني.

---

(1) سورة الشعراء، الآيتان: 54-55.

(2) سورة الشعراء، الآيتان: 151-152.

(3) الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص350-358.

(4) ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص239.

(5) نصار، الفواصل، ص166.

(6) القيسي، أدب الحكمة في درر الكلم وغرر الحكم للسيوطي، ص28.

ويأتي حرف النون فاصلة مسبوقاً بحرفي المد الياء والواو في رسالة أبي حفص بن برد الأكبر[1] عن سليمان المستعين[2] إلى جماعة العبيد، إذ يقول: "والحق لا يضره قلَّة أهله، والباطل لا ينفعه كثرة جمعه، فإنَّ العاقبة للمتقين، وحزب الله هم الغالبون"[3]، فقد جاءت كلمتا: (المتقين والغالبون) فاصلتين تأثر بهما الكاتب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[5].

لقد استطاع الكاتب أن يحقق لنصّه جماليات الإبداع الفني، من خلال توظيفه للنص القرآني دونما إشعارٍ للقارئ، ثم جاءت الفاصلة بنغماتها مزيَّنة للفظ ومتممة للمعنى، كما جاء توظيفه لذلك النص المقدس منسجماً مع مضمون خطابه إلى حدٍّ يدفعنا إلى الإقرار بأنَّ ثقافة الكاتب الأندلسي القرآنية قادرة على تحويل الرافد المعلوماتي إلى نسغٍ نثري، يجسد صفة الشعرية للنص من خلال استغلال طاقات اللغة التي تمنح عملية الإبداع قيماً فنية وجمالية متعددة[6].

من خلال الشواهد السابقة يُلاحظ أنَّ النمط الذي جاءت عليه الفواصل هو نمط الفاصلة ذات العنصرين الحرفيين[7] (حيث جاء حرف النون مسبوقاً بحرفي المد الياء والواو) وجاءت الفاصلة بنفس الجرس مشكّلة عنصراً إيقاعياً بارزاً في النص.

---

(1) هو أبو حفص أحمد بن برد الأكبر، جدّ أحمد بن محمد الكاتب (ابن برد الأصغر)، كان ذا حظ وافر من الأدب والبلاغة والشعر، رئيساً مقدماً في الدولة العامرية، كتب عن الخليفة سليمان المستعين وغيره، توفي سنة (418هـ)، انظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص119.

(2) هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، بويع بقرطبة سنة (400هـ)، وتسمّى لوقته بالمستعين بالله، قتله علي بن حمود صاحب سبتة سنة (407هـ). انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص35-38.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص113.

(4) سورة هود، الآية: 49.

(5) سورة المائدة، الآية: 56.

(6) الجبوري، ثقافة الشاعر وأثرها في معايير النقد العربي القديم، ص183.

(7) القيسي، أدب الحكمة في درر الكلم وغرر الحكم للسيوطي، ص27.

وأمَّا حرف الميم(1)، فقد جاء بإيقاعه الموسيقي فاصلة في كثير من رسائل الكتَّاب الأندلسيين، جاء في الرقعة التي خاطب بها الأديب أبو العباس أحمد بن قاسم(2) ابن بسام، عندما بلغه قيام الثاني بتأليف كتاب الذخيرة قوله: "يا سيدي وعمادي... تكلفت من العناية بتنويهي ما دلَّ على محتدك الكريم، ونصابك السليم، على انتمائك من المجد إلى دوحةٍ ساقها قويم، وطلعها هضيم"(3)، فقد جاءت ألفاظ: الكريم(4)، السليم(5)، هضيم، فواصل قرآنية في آيات عدة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ)(6)، وقوله تعالى: (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)(7)، وقوله تعالى: (وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ)(8)، كما وجاءت كلمة قويم قريبة من كلمة تقويم الواردة في قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)(9).

وما دام أنَّ أبا العباس كان في موقف مدح وثناء، فقد أفاد من دلالة المعنى الذي تحمله تلك الفواصل، وهذا يؤكد أنَّ دور الفاصلة لا ينحصر فقط في النسق

---

(1) ورد حرف الميم فاصلة قرآنية (742) مرة. انظر: الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص296.

(2) هو أبو العباس أحمد بن قاسم المحدث من أهل قرطبة، كان مبرزاً في النظم والنثر وله كتاب مفيد في النفس. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص905.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص905.

(4) لمزيد من الشواهد حول مجيء لفظة (الكريم) فاصلة قرآنية انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص706.

(5) وردت كلمة سليم في موضعين في القرآن الكريم اقترنت بهما بلفظة قلب. انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص438.

(6) سورة الحديد، الآية: 18.

(7) سورة الشعراء، الآية: 89.

(8) سورة الشعراء، الآية: 148.

(9) سورة التين، الآية: 4.

الموسيقي الذي يتحقق من خلال إلحاق بعض الحروف للفواصل، وإنَّما يتجاوز ذلك البُعد لتحقيق وظيفة معنوية هادفة.

وقد لجأ بعض الكتّاب إلى توظيف الفاصلة بنصّها القرآني، إذ عمدوا إلى اقتباس الآيات القرآنية بنصّها، ساعين إلى النظر في مدى مناسبة النص المقتبس للموقف الذي يتناولونه، مراعين توافق الفواصل، إذ قد يكون النصّان المقتبسان في سورتين مختلفتين من سور القرآن الكريم، ولكن الفاصلة تأتي متجانسة مع ما يقابلها، يقول أبو عبد الله بن أبي الخصال[1] في رسالة كتبها للوزير أبي الحسين بن سراج يعتذر فيها من ذكر المقامة القرطبية: "من يُسِّر فيه –أيده الله- إلى الحسنى، وفاز من رضاه بالحظ الأسنى، فله ما تمنّى "وما (وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)[2]، و (مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[3]"[4]. استغل الكاتب الوظيفة المعنوية للفاصلة، فاستحضر نصوصاً قرآنية –راعى فيها توافق الفاصلة- وجعلها في سياق نصّه، مستغلاً وظيفة الفاصلة المتمثلة بإكمال المعنى وإتمام النغم الموسيقي"، ومستثمراً ما تكتنزه الآيات المقتبسة من طاقات فنية هائلة تفي في التعبير عمّا يدور في ذهنه ووجدانه.

ويلجأ بعض الكتّاب إلى استخدام فواصل وردت متتالية في الصورة القرآنية الواحدة، فيوظفها في سياقه مستفيداً من المعنى، وربما يقدم ويؤخر حسب ما يمليه عليه سياقه، ومن ذلك ما كتبه أبو القاسم بن السقاط[5]، إلى الأمير عبد الله بن

---

(1) هو الوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي، كان متفنّناً في العلوم والآداب واللغات، وزر للأمير علي بن يوسف بن تاشفين وكتب عنه رسائل كثيرة، ولد سنة (465هـ)، توفي سنة (540هـ)، انظر: ابن خاقان، القلائد، ص518، ابن خاقان، المطمح، ص25.

(2) سورة فصلت، الآية: 35.

(3) سورة الشعراء، الآية: 89.

(4) ابن خاقان، القلائد، ص533.

(5) كان شاعراً مجيداً وكاتباً بارعاً وهو من ولاة مالقا، انظر: ابن خاقان، المطمح، ص33، ابن خاقان، القلائد، ص505.

مزدلي[1] مستعطفاً إياه بعدما أحسَّ في جانبه بمطالبة كـدّرت صـفو ه، إذ يقـول: "وحاشا لفضلٍ أسدلته عليَّ ضافي الجلباب، قشيب الأثواب، أن يمزقه سـعي أثـيم، مشَّاءٍ بنميم[2]. فقد جاءت الفاصلتان (أثيم، نميم) فاصلتين قرآنيتين متتاليتين في قوله تعالى: (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ & مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ)[3]، يبدو أن الكاتب أفاد من المعنى الذي تحمله اللفظتان، من المشي بالنميمة، ونقل الحديث بين الناس ليوقع بينهم، ويتجـاوز في الظلم وكثرة الآثام[4]، حيث تشابه موقف هؤلاء مع أولئك الواشين الذين يسعون إلى الإفساد بين الكاتب أبي القاسم وأميره ابن مزدلي.

ومن الحروف التي جاءت فواصل متأثرة بفواصـل قرآنيـة فـي كتابـات الأندلسيين حرف (الراء)[5] وهو (وإن كان أقل وروداً في الفواصل القرآنيـة مـن النون والميم، ولكنَّه أكثر الحروف دوراناً في لغة العرب)[6]، جاء في الرسالة التي خاطب بها أبو المطرف عبد الرحمن بن هشام[7] علياً بن حمود[8] قوله: "فسـرعان ما هاموا فلا وزر، وربعوا فلا مستقر"[9]، فقد تمثل الكاتب فواصل سورة القيامة، إذ

---

(1) من أمراء الملثمين، وكان يتولى غرناطة، استرد بلنسية من النصارى مع أبيه (أبي محمـد) ابن مزدلي، سنة (495هـ)، انظر: ابن خاقان، القلائد، ص368.

(2) ابن خاقان، القلائد، ص516.

(3) سورة القلم، الآيات: 10-12.

(4) الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص402.

(5) بلغت فواصله (710) فاصلة في القرآن الكريم، انظر: الحسناوي، الفاصـلة فـي القـرآن، ص296.

(6) شراد، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، ص101.

(7) هو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن الناصر، ولد سنة (392هـ)، وبويـع بالخلافـة سنة (414هـ)، تلقّب بالمستظهر وكنيته أبو المطـرف. انظـر:ابـن خاقـان، المطمـح ، ص213.

(8) هو علي بن حمود بن ميمون من حمود العلوي، الملقب بناصر الدولة، قتله الصـقالبة سـنة (408هـ)، انظر: ابن خاقان، المطمح، ص209.

(9) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص64.

وردت كلمتا (وزر ومستقر) فاصلتين في قولــه تعــالى : (كَلَّا لَا وَزَرَ & إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ)(1).

لقد تناسبت هذه الراء مع المعنى الذي أراده الكاتب عندما قدَّم لهذه الفواصل بقوله: "وأبرقت عليهم آفاق السماء بسيوف الأعداء، تسحّ بوابــل الــدماء، وتمــوج بأسراب السباء"(2)، فهو يستدعي مشاهد شبيهة بالمشاهد المؤثرة التي تحشدها سورة القيامة في حديثها عن مشهد يوم القيامة، وما يجري فيه من انقلابات كونية، ومــن اضطرابات نفسية، ومن حيرة في مواجهة الأحداث، فيجيء حرف الراء في إيقاعات ومشاهد سريعة، يقول الإنسان يومئذٍ أين المفر؟ كلا! لا وزر، إلــى ربــك يومئــذٍ المستقر(3).

استطاع الكاتب توظيف مفردات النص القرآني، واستثمار طاقاتهــا الدلاليــة محققاً لنصّه مزايا عدة، منها: بيان دور الفاصلة في تحسين المعنى(4)، ولفت نظــر المتلقي إلى ما ينطوي عليه المشهد القرآني من معانٍ تثير في نفسه مشاعر مختلفــة من الخوف والرجاء والأمل، ثم إيجاد جرس موسيقي يجلب سمع القارئ ويسهم في إيجاد علاقة تواصل بينه وبين النص.

إنَّ استثمار خاصية هذه الفواصل يكمن في كون "فواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنَّها طريق إلى إفهام المعاني"(5)، وهذا ما حققه الكاتب الأندلسي من خلال ثقافته القرآنية ووعيه لدور هذه الثقافة في تجسيد طموحه الفني.

---

(1) سورة القيامة، الآيتان: 11-12.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص64.

(3) قطب، سـيد، فــي ظــلال القــرآن، ط 12، دار الشــروق القــاهرة، المجلــد الســادس، 1406هـ/1986م، ص3766.

(4) الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص29.

(5) رمضان، محيي الدين، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، ط1، دار الفرقان، عمــان، 1988، ص50.

ويأتي حرف الراء[1] فاصلة في الرقعة التي كتبها أبو القاسم محمد بن الجد في صفة مطر بعد قحط، إذ يعمد إلى اختيار أسماء الله تعالى وصفاته ليجعلها فاصلة في رسالته، حيث يقول: "لله تعالى في عباده أسرار، لا تدركها الأفكار، وأحكام لا تنالها الأوهام... ذلك تدبير اللطيف الخبير، وتقدير العزيز القدير"[2]، فـ(الخبير والقدير) جاءتا فاصلتين في رسالة الكاتب إذ تأثر فيهما بفواصل قرآنية تمثلت في قوله تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[3]، وقوله تعالى: (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)[4]، ويلاحظ وجود علاقة توازٍ بين جملتي ابن الجد، فإذا ما استثنينا لفظ (ذلك) التي تعد قاسماً مشتركاً، فإننا نجد اتفاقاً في الوزن وحرف الروي والجرس، وقد أحسن الكاتب اختيار هذه الفواصل في رسالته إذ إنها تتفق ومضمون الرسالة؛ لأنَّ الله تعالى هو الذي ينزل المطر الذي يُغيث العباد من الجدب من بعد ما يئسوا من نزوله، فينشر الرحمة ويبسط الخير والبركات على عباده[5].

ويأتي حرف الدال[6] بعد حرف الراء في شيوعه في الفواصل القرآنية، حيث وظفه الكتَّاب الأندلسيون فواصل في رسائلهم متأثرين بالفواصل القرآنية له. وأول ما يطالعنا في هذا المقام رسالة ابن الجد التي كتبها على لسان من صدر عن بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي r حيث يقول: "فلا تنس لي يا رسول الله عياذي بك

---

(1) لمزيد من الشواهد على مجيء حرف الراء فاصلة قرآنية، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص238، ابن خاقان، القلائد، ص103، ص253.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص289.

(3) سورة الملك، الآية: 14، ولمزيد من التفاصيل حول ورود اسم (الخبير) فاصلة قرآنية، انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص278.

(4) سورة الروم، الآية: 54، ولمزيد من التفاصيل حول ورود صفة (قدير) فاصلة قرآنية، انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص647.

(5) الصابوني، صفوة التفاسير: ج3، ص130.

(6) ورد حرف الدال (308) مرة فاصلة قرآنية. انظر:الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص296.

ولياذي، وإسراعي إلى زيارتك وإعذاذي، واذكرني في اليوم العظيم المشهود، عند حوضك المورود، وظلك الممدود، ومقامك المحمود"[1].

إنَّ كلمات (المشهود، المورود، الممدود) تذكرنا بفواصل الآيات في قوله تعالى: (ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ)[2]، وقوله تعالى: (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ)[3]، وقوله تعالى: (وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ)[4].

لقد صوّرت هذه الرسالة نفسية ابن الجد كواحدٍ من الكتّاب الذين لم تسعفهم الظروف لزيارة الحرم المكي والقبر النبوي، ووصف ما يكابدونه من شوق وحنين إلى تحقيق هذه الأمنية التي حرمت منها نفوسهم فهو يهنّئ مَن سَعِد بزيارة قبر الرسول الكريم r ، ويُعبّر عن مشاعره وتهانيه الصادقة[5]. ويتخيّل نفسه في حضرة المقام النبوي يطلب من الرسول r الشفاعة، وقد جاء استخدامه للفواصل منسجماً مع المعاني التي أرادها، إلاَّ في الفاصلة الثانية، حيث نقل دلالة الفاصلة المتمثلة في كلمة (مورود) من معناها الذي جاءت به في سياق الآية الكريمة الذي يذم مصير فرعون وقومه، إلى دلالة إيجابية هي ورود حوض المصطفى r .

ويأتي حرف الدال بإيقاعه الجميل فاصلة في المقامة التي خاطب بها أبو محمد بن مالك القرطبي[6] ابن صمادح إذ يقول: "كل قد أخذ عتاد اليوم للبأس الشديد، يظاهر بالحديد على الحديد"[7]، إنَّ الفواصل التي وقف عليها الكاتب (الشديد

---

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص287.

(2) سورة هود، الآية: 103.

(3) سورة هود، الآية: 98.

(4) سورة الواقعة، الآية: 30.

(5) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص197.

(6) هو الوزير المشرف أبو محمد بن مالك، ارتفعت منزلته لدى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فبوَّأه مراتب لائقة به وجعله مشرفاً على صرف أموال خصصت لإصلاح الأحوال بشرق الأندلس، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص739، ابن خاقان، القلائد، ص500.

(7) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص744.

والحديد) جاءت فواصل قرآنية، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾[2]، فجاء توظيف هذه الفواصل ليمنح نصّه جمالاً في التعبير، وتضفي عليه ذوقاً موسيقياً، إضافة إلى ما يرسمه اللفظان اللذان اختارهما الكاتب (الشديد والحديد)، من صورة، إذ اتضحت هذه الصورة تارة بظلهما الذي يلقيانه في الخيال، وتارة بالجرس والظل جميعاً"[3].

ويأتي حرف الدال[4] مردفاً بالألف في ترجمة ابن بسام للوزير الحكيم أبي محمد المصري[5] التي يقول فيها: "وكان رحل إلى مصر واسمه خامل، وسماؤه عاطل، فلم ينشب أن طرأ على الأندلس وقد نشأ خلقاً جديداً، وأجرى إلى النباهة طلقاً بعيداً"[6]، فقد وقف ابن بسام على فاصلتي (جديدا، بعيدا) وقد جاءتا فواصل قرآنية في أكثر من آية[7]، نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[9].

---

(1) سورة البروج، الآية: 12.

(2) سورة سبأ، الآية: 10.

(3) قطب، التصوير الفني في القرآن، ص91.

(4) لمزيد من الشواهد حول مجيء حرف الدال فاصلة قرآنية انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص763، ق4، م1، ص166.

(5) هو عبد الله بن خليفة القرطبي، المعروف بالمصري، ذمه ابن اللبانة في كتابه (سقيط الدرر) لأنَّه لم يكن وفياً للمعتمد بن عباد بعد خلعه، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص342.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص342.

(7) لمزيد من الشواهد على مجيء الكلمتين فواصل قرآنية انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص154، ص202.

(8) سورة الإسراء، الآية: 49.

(9) سورة النساء، الآية: 136.

ويلاحظ أن الكاتب اتكأ على سمة الازدواج في قوله: "خلقاً جديداً، وضـــلالاً بعيداً" حيث منح العبارات نغماً مؤثراً، وأضفى عليها إيقاعاً موسيقياً بليغاً، يدل على قدرة الكاتب على تأليف العبارات المناسبة، وتحقيق الانسجام بينهما بما يخدم المعنى المقصود(1).

وتأتي الألف المقصورة(2) متأثرة بالفواصل القرآنية في رسائل الأندلســيين، ومن ذلك ما جاء في مقامة ابن شرف(3) في الشعراء، يقول في حديثــه عــن أبــي نواس: وأما أبو نواس، فأوّل النّاس في خرم القياس، وذلك أنّه ترك السيرة الأولى، ونكّب عن الطريقة المثلى"(4)، إن الذي يقرأ هذا النّص يستحضر في ذهنه الآيــات الكريمة في سورة طه المتمثلة بقوله تعالى: (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى)(5)، وقوله تعــالى: (قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى)(6)، إذ إنَّ الكاتب استغلَّ وظائف الفاصلة المتعلقة بالإيقاع والمعنى، فهي –أي الفاصلة- ترشد إلى تلوين الصورة، وإجادة الوقف، وتمد القارئ بألوان من التنغيم المؤثر والتطريب الأخّاذ، وهي أيضاً توجب إفهام المعاني كما يقول الباقلاني(7).

وثمة ملاحظة يجدر بنا الوقوف عندها، هي أنَّ الكاتب أفاد من النص القرآني فاستمدّ معاني رسالته منه، واتخذ منه قاعدة ثقافية لتأسيس منهجية تسعى لكسب ثقة المتلقي ذي الثقافة القرآنية.

---

(1) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص353.

(2) وردت الألف المقصورة (245) مرة فاصلة قرآنية، انظر: الحسناوي، الفاصلة في القــرآن، ص296.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن شرف من القيروان، تردد على ملوك الطوائــف فــي الأنــدلس، واستقر أخيراً عند المأمون بن ذي النون، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص169.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص205.

(5) سورة طه، الآية: 21.

(6) سورة طه، الآية: 63.

(7) لاشين، الفاصلة القرآنية، ص37.

وتأتي هذه الألف في فصول التحميدات عند أبي حفص بن بـرد الأصـغر فاصلة عند الاستراحة لتحسين الكلام بها[1]، فضلاً عن دورها في تحقيـق المعنـى الذي يليق بمقام المحمود سبحانه، يقول أبو حفص: "الحمد لله الذي علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان... تعالى في الحجب العلا، واطلع على النجوى، وعلـم السـر وأخفى"[2]، إنَّ الفواصل التي وقف عليها الكاتب (العلا، النجوى، أخفى) تقودنا إلـى استحضار الفواصل القرآنية في سورة طـه، كقولـه تعـالى : ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾[4]، وقوله تعـالى: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[5].

لقد أحسن الكاتب اختيار هذه الفواصل، لأنَّها تحمل نغمة منسجمة تماماً مـع طبيعة موضوعه، وهو الحمد والثناء على الله تعالى، إذ إن ظلال هذه الألفاظ التـي جعلها الكاتب فواصل توحي للنفس بمعانٍ وإيحاءات، كما يقول سيد قطب: "وللألفاظ كما للعبارات ظلال خاصّة، يلحظها الحس البصير، حينما يوجـه إليهـا انتباهـه، وحينما يستدعي صورة مدلولها الحسية"[6].

ومن الفواصل القرآنية التي تأثر بها الكتّاب الأندلسيون تلك التي نجدها فـي حرف الباء، ومن شواهدها في نثرهم ما أورده ابن بسام في رسالة لأحد الزهّـاد[7] من أهل سرقسطة، يدعو فيها إلى الزهد، ويرسم صورتين متباينتين، الأولى لسلوك

---

(1) عامر، فتحي أحمد، فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ط1، منشأة معـارف الإسكندرية، 1988، ص201.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص491-492.

(3) سورة طه، الآية: 4.

(4) سورة طه، الآية: 62.

(5) سورة طه الآية: 7.

(6) قطب، التصوير الفني في القرآن، ص95.

(7) لم يورد ابن بسام ترجمة لهذا الزاهد في كتاب ابن بسام، الذخيرة، ولم أعثر على هذا النص فيما بين يديَّ من المصادر الأندلسية.

الزهاد العابدين، والثانية للعصاة الظالمين الذي سلكوا طريق الضلال، فيحذرهم بقوله: "يا بؤس مقام الظالمين، وندامة العاصين، إذا رأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب"[1]، فقد وقف الكاتب على كلمتي (العذاب، الأسباب) وهي فواصل قرآنية تأثر بها في قوله تعالى: (وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)[2]، وقوله تعالى: (وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ)[3].

إنَّ الفواصل التي اختارها الكاتب تتناسب تماماً مع مضمون خطابه، حيث تأثر بمضمون النص القرآني في قوله تعالى: (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ)[4]، فاستطاع أن يقف على كلمة (العذاب) بفاصلة قرآنية أخرى ويبقي كلمة (الأسباب) في سياقها وفاصلتها، وليس غريباً على أديب زاهد تشرّب ثقافة القرآن، أن يحسن توظيف فواصله وما تحمله من معانٍ في كتاباته.

وفي إحدى رسائل التعازي التي كتبها أبو القاسم ابن الجد، يأتي حرف البـاء فاصلة تدل على تأثره بالفاصلة القرآنية، يقول ابن الجد في تلك الرسالة: "ففي تجلدك لتحامل الخطبين محتمل، ولتصبّرك في سوم الخطتين تصرف وعمل، وبجسيم عظيم المصاب، وكرم الاحتساب، يكون حسن الثواب ويمن المآب"[5]، حيث جاءت الفاصلتان (الثواب، المآب) فواصل قرآنية في قوله تعالى: (وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)[6]، وقوله تعالى: (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ)[7]، وجاءت فاصلة الاحتساب في

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص852.
(2) سورة البقرة، الآية: 165.
(3) سورة البقرة، الآية: 166.
(4) سورة البقرة، الآية: 166.
(5) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص317.
(6) سورة آل عمران، الآية: 195.
(7) سورة ص، الآية: 25.

رسالة الكاتب قريبة من لفظة (الحساب) التي وردت فاصلة قرآنية في آيات عدة من سور القرآن الكريم[1]، مما قد يوحي أنَّ الكاتب تأثّر بها.

لقد كان توظيف الكاتب لتلك الفواصل قريباً من جوّها القرآني، إذ عمد إلى فواصل تتناسب مع طبيعة الموقف وهو العزاء، إذ لا يستطيع أحد أن ينكر قوة العلاقة المعنوية بين ألفاظ (الثواب، المآب، الحساب) وموقف الموت وما بعده، وهذا يقودنا إلى التسليم بأنَّ استخدام الكاتب لهذه الفواصل في موقف كهذا، إنّما هو نتاج علاقة قوية بين الكاتب الأندلسي والنص القرآني.

ويأتي حرف التاء فاصلة في رسائل الكتاب –لاسيَّما رسائل العزاء- متأثرة بفواصل قرآنية، ومن ذلك ما جاء في إحدى رسائل العزاء التي كتبها ابن الدباغ: "واحسرتا للجة المواهب كيف سجّرت، ولشمس المعالي كيف كورت، ويا لهفاً على هضبة الحلم كيف زلزلت"[2].

يلاحظ أن الفواصل التي وقف عليها الكاتب في رسالته تمثلت في (سجرت، كورّت، زلزلت)قد جاءت الأولى والثانية فواصل قرآنية في قوله تعالى : (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ)[3]، وقوله تعالى: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)[4]، في حين جاءت الثالثة بلفظها في سياق آية قرآنية في سورة الزلزلة.

إنَّ الذي يقرأ موضوع الفاصلة القرآنية عليه أن يعرف أن هذه الفاصلة "تحمل شحنتين في آنٍ واحد: شحنة من الوقع الموسيقي، وشحنة من المعنى المتمم للآية"[5].

---

(1) حول ورود كلمة حساب فاصلة قرآنية، انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص246.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص314.

(3) سورة التكوير، الآية: 6.

(4) سورة التكوير، الآية: 1.

(5) شيخ أمين، بكري، (1994)، التعبير الفني في القرآن الكريم، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص209.

ونحن في قراءتنا للفواصل التي أمامنا (سجّرت، كوّرت) نسارع إلى استحضار صورة ذلك المشهد، وهو مشهد يوم القيامة وما يصاحبه من انقلاب كوني هائل، يشمل الشمس والنجوم وكل شيء، فهذه الأحداث الكونية تشير بجملتها إلى أنَّ هذا الكون المنسق الجميل ستتأثر أجزاؤه وينتهي إلى أجله المقدر[1].

ولعل الكاتب الأندلسي الذي تربّى على القرآن الكريم، اتخذ من هذه المشاهد حجة يخفف بها مصاب المعزَّى، ومن جانب آخر فإنَّ الفواصل التي اختارها الكاتب تخلع النفس من كل ما تطمئن إليه وتركن[2].

وهنالك رسالة لابن عبد البر في العزاء شبيهة برسالة ابن الدباغ تأثر فيها بفواصل قرآنية حيث قال: "لقد طرقت نائبة من الموت، وفاجعة من الكرب، في قطب الآمال ومدارها... فإذا خطفت يد الحمام وأصمّت به سهام الأيام؟ أي سماء للعلا فطرت، وأي نجمٍ للمنى كدَّرت، وأي بحر من الأسى سجَّرت وأي عين للبكاء فجرت؟"[3]، فالكلمات (سجرت، فجرت) فواصل قرآنية جاءت في قوله تعالى: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ)[4]، في سورة التكوير، وقوله تعالى: (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ)[5]، في سورة الانفطار، في حين جاء الفعلان (فطرت، كدرت) مجرّدين من الزيادة على غير ما وردا في قوله تعالى: (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ)[6]، وقوله تعالى: (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ)[7].

وثمة قضية مهمة يلمسها الباحث في دراسته لأثر الفاصلة القرآنية عند الكتاب الأندلسيين، وهي لجوء بعضهم أحياناً إلى تمثل الفواصل القرآنية في سورة

---

(1) قطب، في ظلال القرآن، ص3836، 3837.

(2) المرجع نفسه، ص3837.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص222-223.

(4) سورة التكوير، الآية: 6.

(5) سورة الانفطار، الآية: 3.

(6) سورة الانفطار، الآية: 1.

(7) سورة التكوير، الآية: 2.

بعينها، وربما كانت تلك الفواصل من الحروف المتقاربة(1)، ومن شواهد هذا الصنف ما جاء في الرسالة التي كتبها ابن شهيد في السخرية بابن الإفليلي وإنتاجه الأدبي(2): "وكان الرأي عندي له أن يسكن أرض جليقية أو قطراً بعد عن الإسلام، حتى لا يسمع فيه لخطيب ذكراً، ولا يحس لشاعر ركزاً، فيكون هناك فرداً"(3)، يُلاحظ أن ابن شهيد استحضر فواصل سورة مريم في الفاصلتين الأخيرتين من رسالته (ركزاً، فرداً) حيث وردتا في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾(4)، وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾(5)، وقد زاد ابن شهيد في رسالته بفاصلة أخرى تمثلت في كلمة (ذكرا) وهي فاصلة قرآنية وردت في سورتين من القرآن الكريم، هما سورة الكهف وسورة طه(6)، إنَّ الفواصل التي اختارها ابن شهيد مناسبة لموضوع رسالته وهي في الوقت نفسه تستدعي صورة المشهد القرآني الذي وردت فيه تلك الفواصل، فكأنَّه –أي ابن شُهَيد- "عاش مع القرآن الكريم بقدر ما يسعفه خياله، وبقدر ما تطيق مشاعره وأحاسيسه"(7)، ومن جانب آخر أفاد ابن شهيد من اللحن الموسيقي الذي تحمله تلك الفواصل، فارتقى خطابه في نفس المتلقي، الذي أحسَّ بأنَّ الكاتب الأندلسي يمتلك من أساليب التعبير ما يؤكّد تأثره بالثقافة القرآنية، التي أصبحت معياراً تقاس به ثقافته وقدرته على الإبداع.

إن لجوء الكتّاب إلى استيحاء فواصل قرآنية في سورة ما، يؤكد أنَّ في القرآن الكريم تناسقاً فنياً بين مفرداته "وتلاؤم هذه المفردات مع السياق والمعطيات:

---

(1) الفواصل التي على الحروف المتقاربة مثل قرب الدال مع الباء في قوله تعالى في سورة ق: (قَ وَالقُرْآنُ المَجِيْدُ) "هذا شيء عجيب"، انظر: خلف وسلام، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص98.

(2) انظر: نص الرسالة في ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص241.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص241.

(4) سورة مريم، الآية: 95.

(5) سورة مريم، الآية: 98.

(6) انظر: سورة الكهف، الآية: 70، وسورة طه الآيتان: 99-113.

(7) الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص346.

من معنى ومغزى وصور وظلال وإيحاء، بحيث تتداعى الألفاظ وتتقارب في الأذهان بمجرد السماع، وهي متسلسلة متناسقة لا تحمل خللاً بل إحكاماً وأداءً متيناً"(1).

وقد لجأ بعض الكتّاب إلى توظيف الفواصل القرآنية بنصِّها الذي وردت فيه، مجرين تحويراً طفيفاً، فجاءت الفاصلة بجرسها وخصائصها القرآنية، ومن ذلك ما جاء في إحدى رسائل ابن مسلم التي خاطب بها صاحب ميورقة قوله: "فما للإنسان يكون هلوعاً، إذا مسّه الخير منوعاً، وإذا مسّه الشر جزوعا"(2)، يلاحظ أن الكاتب تأثر بالفواصل القرآنية بنصِّها الذي وردت فيه في سورة المعارج، إذ قال سبحانه: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا & إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا)(3)، إنَّ توظيف الكاتب لتلك الفواصل بهذه الطريقة يكشف عن مدى إدراكه للأثر العميق الذي تركته تلك الفواصل في نفس المتلقي، لأنها تحمل "نغمات نفسية ومعنوية وإيقاعاً يعطي الإنسان روحاً ويحس عندها بمتعة فنية مؤثرة"(4).

إنَّ هذه الشواهد التي عرضنا لها ليست حصيلة كاملة لنتاج الكتّاب الأندلسيين المتعلق بأثر الفاصلة القرآنية، إنَّما هي مؤشرات وشواهد محددة تثبت وجود روابط عميقة بين الكتّاب الأندلسيين والقرآن الكريم، وممارسة إبداعية على الإفادة من طاقات وأساليب اللغة القرآنية بما يسهم في إثراء النّص ويكشف عن براعة مبدعه.

---

(1) السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، ص164.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص440.

(3) سورة المعارج، الآيات: 19-21.

(4) لاشين، الفاصلة القرآنية، ص38.

وقد تجاوزنا حروفاً كثيرة جاءت فواصل متأثرة بالفاصلة القرآنيـــة كحـــرف القاف(1)، وحرف الهاء(2)، وحرف اللام(3)، وغيرها.

وقد تبيّن لنا من خلال الشواهد التي عرضنا لها أنَّ الفاصلة القرآنية كان لها صدىً إيجابي في رسائل الكتَّاب الأندلسيين؛ إذ سعوا إلـــى توظيفهـــا فـــي جميـــع موضوعات رسائلهم وأغراضها توظيفاً يكشف جانباً من ثقافتهم، وتفننوا أحياناً فـــي نقل دلالاتها القرآنية إلى دلالة جديدة تناسب السياق النثري.

---

(1) حول ورود حرف القاف فاصلة انظر: ابن بســـام، الـــذخيرة: ق2، م1، ص67، ق3، م1، ص365، ق3، م1، ص430، ابن خاقان، القلائد، ص82.

(2) حول ورود حرف الهاء فاصلة انظر: ابن بســـام، الـــذخيرة: ق2، م2، ص655، ق1، م2، ص848؛ ابن خاقان، القلائد، ص647.

(3) حول ورود حرف اللام فاصلة انظر: ابن بسام، الذخيرة: ق3، م1، ص276، ص432؛ ابن خاقان، القلائد، ص810.

الفصل الخامس

أساليب توظيف الكتّاب للنص القرآني

ليس ثمة شك أنَّ بيان القرآن الكريم الذي لا زال يتحدى فصحاء المبـــدعين قديماً وعلى مرّ العصور، معجزة من معجزاته[1]، ولو كانت فصاحته غير معجـــزة في أساليبها التي ألقيت إليهم، لما نال منهم الدهر منالاً[2].

ومن خلال تتبعنا لرحلة النثر الأندلسي، وجدنا الكتاب يحرصون على تمثّـــل النَّص القرآني، ويعمدون إلى إبداع معاني نصوصهم وصياغة تراكيبها، مســـتعينين على ذلك بما ينطوي عليه ذلك النص المقدس من إحكام أســـلوب،وقـــوة تعبيـــر ، فاكتسى كلامهم بذاك التوظيف القرآني مظهراً ما لحسنه غاية، ومأخذاً مـــا لرونقـــه نهاية، واكتسب حلاوة وطلاوة ما فيها إلا معسولة الجملة والتفصيل[3].

ولشدة تعلّق هؤلاء الكتاب بالقرآن الكريم وحفظهم إياه، فقـــد ترســـبت فـــي رسائلهم وسائر كتاباتهم العناصر القرآنية، وتأثروا بأساليبه التي رأوها غايـــة فـــي البلاغة والفصاحة ودقة التعبير[4]، إذ وجدوا فيه مرتعاً خصباً ينهلون منه، ويدبّجون نصوصهم النثرية، فراحوا يستخرجون منه ألواناً من المقويات لكلامهم[5]، مستغلين كل طاقاتهم الإبداعية في الوصل بين تجاربهم ونصوصهـــه. ولأن اســـتلهام الـــنص القرآني يشكل قواسم مشتركة بين النص والقارئ[6]؛ فقد سعى الكتاب إلـــى تجســـيد

---

(1) الجويني، مصطفى، المنظور الأدبي للنص القرآني، دار المعرفة الجامعيـــة، الإســـكندرية، 1996، ص205.

(2) الرافعي، إعجاز القرآن، ص157.

(3) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت: 429هـ)،الاقتباس مـــن القـــرآن ، تحقيـــق ابتسام الصفّار، دار الحرية للطباعة – بغداد، 1975م، ص24.

(4) العاني، أثر القرآن في الشعر الأندلسي، ص211.

(5) ابن محمد، النثر الفني في القرن الخامس الهجري، أشكاله ومضامينه، ص679.

(6) الياسين، استيحاء التراث الأندلسي، ص227.

أفكارهم واستمرار حضوريتها في نفس المتلقي بأساليب مختلفة، لاسيَّما أنهم يملكون القدرة على التفاعل مع النص القرآني وتطويعه لخدمة أغراضهم.

ولما كان القرآن الكريم حاضراً في أذهان أولئك الكتاب فقد وظفوا ألفاظه ومعانيه[1] بأساليب مختلفة، فتفننوا في اختيار طرائق التعبير، ومضوا بعيداً في ابتكار وسائل فنية جديدة تعينهم في التعبير عما يجول في أذهانهم من أحاسيس ومشاعر وصور ومعانٍ[2]، فالقرآن الكريم الذي أصبح بالنسبة لهم مرجعاً لا غنى لهم عنه، بلغ مستوى فنياً عميقاً لديهم آنذاك.

من هنا فقد تنوّعت أساليب الكتَّاب الأندلسيين في توظيف القرآن الكريم، وتوسّعوا في ابتداع أساليب فنية جديدة، أسهمت في استيعاب الثقافة القرآنية ، وتوظيف نصوصها بصورة تناسب معطيات نصوصهم، وتلبّي طموحاتهم وتغني خبراتهم، وقد جاء توظيفهم للنص القرآني على وجهين: أولهما إيراد الآيات القرآنية الكريمة بنصِّها ولفظها، وثانيهما إيرادها دون النص عليها بصيغتها[3]، والمتأمل في رسائل الأندلسيين يجد فيها من الشواهد ما يثبت تعلق الكتّاب بأساليب القرآن الكريم، وتأثّرهم بطرائقه التعبيرية، وليس غريباً أن يحظى الرافد القرآني باهتمام هؤلاء الكتّاب، فخصوصية القرآن الكريم أحلته منزلة سامية في نفوس الكتَّاب، فجعلوا ينظرون إليه على أنَّه الذروة البلاغية التي يغذّون السير نحوها[4].

ومن الأساليب التي اتجه إليها هؤلاء الكتّاب، الاقتباس الصريح بحيث يدخلون على النّص المقتبس بإشعار بذلك أو دونما إشعار[5]، آخذين بعين الاعتبار مدى

---

(1) جوَّز العلماء استعمال بعض آيات القرآن الكريم في التصانيف والرسائل، انظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله، (ت: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص565.

(2) الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص521.

(3) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص327.

(4) الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص523.

(5) لمزيد من الشواهد على هذا النوع، انظر: ابن خاقان، القلائد: 333، 611، ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص439، ق1، م2، ص650، ق3، م1، ص178.

مناسبة النص المقتبس بحرفه للموقف الذي يتحدثون عنـــه[1]، ومـــن وجـــوه هـــذا الأسلوب أن يترك النص المقتبس في سياقه القرآني[2]، ومن ذلك ما جاء في رسالة ابن عبد البر التي كتبها على ألسنة أهل بربشتر: "فإنا نحمد الله إليكم، حمد من أيقن به رباً، وجعله حسباً، ولي المؤمنين، وغياث المستغيثين، مجري الفلك فـــي البحـــر بأمره ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[3]"[4]. فقد جعل الكاتب النص المقتبس سائراً في السياق الموضوع له أصله، فأثنى على الله تعالى بذكر صـــفاته الجليلـــة سبحانه، فجاءت الآية الكريمة متممة لتلك الصفات، ونحو ذلك ما ورد في قول ابن خاقان في مقدمة كتاب القلائد: "وصلَّى الله على النبي محمد الذي بعثه بشيراً ونذيراً ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[5]"[6]، ففي معرض حديثه عن الرسول r اقتـــبس الصفات التي أثبتها رب العزّة سبحانه لنبيه في القرآن الكريم.

وقد يجعل الكاتب النص المقتبس وصفاً أو تشبيهاً لما قبله، ومن شواهد هـــذا اللون ما جاء في قول ابن شهيد في وصف بعض الشعر: "فقد ترى الشـــعر فضـــيَّ البشرة، وهو رصاصي المكسر، ذا ثوبٍ معضّد أو مهلهل... وقد ملحتـــه ملاحـــة الأسماء، واتقد من الهوى، واضطرمت في جانبه نيران الجوى، ولمع فيه البـــرق، واستنّ فيه الودق، وسفحت عليه الدموع، وبان فيه الخشوع، وهو ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[7]"[8]، يلاحظ أن الكاتب اختار صورة الســـراب الذي يخدع الظمآن تشبيهاً لذاك النوع من الشِعر، الذي "لا يستحق صاحبه غيـــر أن

(1) القيسي، خطاب المقام النبوي والروضة الشريفة في نثر لسان الدين ابن الخطيب، ص177.
(2) الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص523.
(3) سورة الحج، الآية: 65.
(4) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص174.
(5) سورة الأحزاب، الآية: 46.
(6) ابن خاقان، قلائد العقبان ومحاسن الأعيان، ص43.
(7) سورة النور، الآية: 39.
(8) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص310-311.

يكون تلعّابة أو صاحب براعة"[1]. ومثل ذلك ما جاء في إحدى رسائل ابن مسلم التي خاطب بها صاحب ميورقة قوله: "فألفينا مورداً عذباً، ومحلاً رحباً، كأنَّ أطباقه مُقل الجفون، ملئت من قرة العيون، وأكواسه مراشف الحور تُعلّ بنطف الثغور، طلعت منها شجرة مباركة النوى (أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء)[2]"[3]، فقد أراد ابن مسلم أن يختار وصفاً لتلك الشجرة الواردة في نصّه، فأتى بالآية القرآنية الكريمة بنصّها فكانت خير وسيلة للوصف، ذلك أن سياقها القرآني جاء أصلاً في وصف شجرة كذلك، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء)[4].

ويأتي الكاتب أحياناً بالنص القرآني لتعزيز النص وإعطائه قوة تأثير أكبر[5]، ومن ذلك قول أبي عمر بن الباجي في نزول الغيث بعد القحط: "إنَّ لله تعالى قضايا واقعة بالعدل، وعطايا جامعة للفضل، ومنحاً يبسطها إذا شاء إنعاماً وترفيهاً، ويقبضها إذا أراد إلهاماً وتنبيهاً، ويجعلها لقوم صلاحاً وخيراً، ولآخرين فساداً وضيراً (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)[6]"[7]، يبدو جلياً أن الآية الكريمة أسهمت في إعطاء النص قوة تأثير أكبر، ذلك أنَّ النص اكتمل واستوفى المعنى قبل لجوء الكاتب إلى توظيف الآية الكريمة، فلمّا أتى بها أسهمت في تعزيز النص، ومنحته جوانب مؤثرة في نفس المتلقي.

---

(1) ابن بسام، الذخيرة، ص311.

(2) سورة إبراهيم، الآية: 24.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص432.

(4) سورة إبراهيم، الآية: 24.

(5) الهروط، عبد الحليم حسين، النثر الفني عند لسان الدين ابن الخطيب، ط1، 1426هـ / 2006م، دار جرير، ص134.

(6) سورة الشورى، الآية: 28.

(7) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص196.

ومن ذلك ما جاء في رسالة كتبها الفتح بن خاقان عن بعض الأمراء إلى صاحب الشرطة، إذ يقول: "وأمره أن يراقب الله تعالى في أوامره ونواهيه، وليعلم أنَّه زاجره عن الجور وناهيه، وسائله عمّا حكم به وقضاه، وأنفذه وأمضاه: ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾(1)"(2)، يلاحظ أنَّ الكاتب لم يأتِ بهذه الآية لتزيين النص وتحليته فحسب، وإنَّما جاء بها لتقوية المعنى وتعزيز النص الذي أصبح ذا قوة مؤثرة في نفس القارئ.

وقد يورد الكاتب النص المقتبس في باب النصيحة والدعوة إلى فعل الخير، فيجيء النص القرآني تتويجاً لتلك النصائح التي أسداها الكاتب، ومن شواهد هذا المنحى ما جاء في رسالة أبي القاسم بن الجد التي كتبها عن أمير المسلمين(3) إلى أهل غرناطة: "فإذا وصل إليكم خطابنا هذا فاتركوا متابعة الهوى، واسلكوا معه الطريقة المثلى، ودعوا التنافس على حطام الدنيا، وليقبل كل واحد منكم على ما يغنيه... ولا بد لكل عمل من أجل، ولكل ولاية من غاية، ولن يسبق شيء أناه، وإذا أراد الله أمراً سنّاه ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(4)"(5).

ومثل ذلك ما جاء في رسالة لابن عبد البر يستنفر فيها الناس للجهاد ، وينصحهم ويذكرهم بيوم الحساب: "فلا الأخ يغني أخاه، ولا الابن يدعو أباه، ولا الأب يدني بنيه ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾(6)"(7)، فقد أخذ يذكرهم بحالهم في ذلك الموقف العظيم، ثم جاء بالآية الكريمة تعزيزاً وإثباتاً لتلك النصائح.

---

(1) سورة الانفطار، الآية: 19.

(2) ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس، ص91.

(3) هو أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين.

(4) سورة البقرة، الآية: 216.

(5) الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ق2، ص368.

(6) سورة عبس، الآية: 37.

(7) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص176.

وقد يعمد بعضهم إلى جعل النص القرآني يتعانق مع السياق الحقيقــي لوجــود علاقة تقارب بينهما، ومن ذلك قول أبي عمر بن عيسى الإلبيري في رقعة خاطــب بها بعض إخوانه سنة ست عشرة وأربعمائة، وضمّنها كلاماً في وصــف النفــوس الخيرة الطاهرة التي "أكمل لها البر، فحييت بقربه، وشربت بكأس حبــه، فرفضــت الأسباب، وخرقت الحجاب، وبيّض وجوهها البرهان، وأثلجها البيــان (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)[1]، فرحمانهم علامهم، وجبارهم رزاقهــم، خلاؤهــم مــلاء، وملاؤهم خلاء، وسماؤهم أرض، وأرضهم سماء"[2]، فالكاتب يسعى إلــى تصــفية النفس بواسطة تنبيهها إلى حقائق أزلية، فوصف من عمل النفس الخيرة ما شاء لــه من الوصف، حتى إنَّه وجد هذه السبل تفضي به إلى تلك الآية القرآنيــة الكريمــة، فضمنها كلامه دون أن يشير إلى أنه سيوردها[3].

ومن أساليبهم في توظيف القرآن الكريم التمهيد؛ لدخولهم بما هو مشعر بــذلك، حيث تفننوا في انتقاء العبارات المشعرة بأنَّ النص المدرج لاحقــاً مــن آي الــذكر الحكيم[4]، كأن يؤتى بما يفيد القول، مثل: "يقول تعالى"، "قال الله عز وجل"، "وفــي محكم التنزيل"[5]، ومن شواهد هذا المنحى أن يأتي الكاتب بالآية القرآنيــة لتقريــر حقيقة ما، فيمهّد لها، ومن ذلك ما نجده في إحدى رسائل ابن شهيد التي يقول فيهــا: "لا نعمة للخالق على المخلوق أجمل عاقبة وأحمد مغبة، وأروق بهاء... مــن تقــى يشعرها قلبه، وأدب يزين به عقله، ولسان مبين يفيضه عليه، فيعرب به عن نفســه، ويكشف عن حقيقة ذاته، قال الله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[6]، وقــال: (هَلْ

---

(1) سورة القيامة، الآية: 22.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص849.

(3) ابن محمد، النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص679.

(4) الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص526.

(5) القويدر، سطام، توظيف الموروث الثقافي في النثر الفني الأندلســي فــي القــرن الخــامس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، 2006.

(6) سورة الحجرات، الآية: 13.

يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[1]، وقال: (سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ)[2]، وقال: (أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)[3]"[4].

ما نلحظه على الآيات السابقة أنَّه قدم بما هو مشعر بأن النص اللاحق هو من القرآن الكريم، ففي الآية الأولى اختار: "قال الله تعالى" وفي الآيات التالية عطف عليها بالفعل قال العائد على لفظ الجلالة، وقد أجمل مجموعة من النعم التي منّ الله تعالى بها على خلقه ثم فصّلها تفصيلاً قرآنياً مراعياً ترتيبها الذي جاءت به.

وأحياناً يكون تمهيدهم ثنائي الجانب، فيمهدون للآية الكريمة بعبارات سابقة تدل عليها، ثم يدرجون بما يفيد القول عند عرضهم لتلك الآية، ومن ذلك ما جاء في رسالة أبي الإصبع بن أرقم[5]، عن علي بن مجاهد إلى ابن رزين[6] قوله: "والسعيد من نام والأقدار تحرسه، وأقام والأيام تخدمه، واتكل والله يكفله، فحقّ له ألاَّ يجزع إذا دهى خطبٌ، فإنَّ الفرج معه، وألا يهلع إن عدا كرب، فإنَّ الله قد رآه وسمعه، ولاسيَّما إن قصد بظلم واعتمد ببغي، ففي التنزيل: (ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ)[7]"[8]،

---

(1) سورة الزمر، الآية: 9.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 19.

(3) سورة الزخرف، الآية: 18.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص226.

(5) هو عبد العزيز بن محمد بن أرقم النميري الوادياشي، سكن المرية وأقام بدانية مدة عند إقبال الدولة علي بن مجاهد العامري، ثم صار إلى المعتصم بن صمادح، وكان من وجوه رجاله ونبهاء أصحابه، توفي في خلافة المعتمد بن عباد، انظر: ابن خاقان، القلائد، ص61، ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص360.

(6) ابن رزين هو أبو مروان عبد الملك بن رزين بن هذيل حسام الدولة بن رزين، ولي الحكم عن أبيه سنة (436هـ)، كان شديد الإعجاب بنفسه، وكان يتعسّف على الشعراء ويتعسَّر بمطلوبهم من العطاء، توفي سنة (496هـ). انظر: ابن خاقان، القلائد، ص157.

(7) سورة الحج، الآية: 60.

(8) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص366.

يلاحظ أن الكاتب مهّد للآية القرآنية الكريمة بعبارات دالة عليها، ثم أشار إلى أن النص المدرج لاحقاً هو من القرآن الكريم فأورد عبارة "ففي التنزيل".

وقد يلجأ الكاتب إلى اتخاذ النص القرآني حجّة ودليلاً يورده في سياقه، مراعياً مناسبة السياق مع النص المقتبس. ومن ذلك ما جاء في رسالة كتبها ابن زيدون إلى الأديب أبي بكر بن مسلم[1] يقول فيها: "وذكرت أن الفرار من الظلم والهرب ممن لا يطاق، من سنن المسلمين، وقد قال تعالىعلى لسان موسى : (فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ)[2]"[3]، فقد مهّد للآية الكريمة التي تعانقت في المعنى مع مضمون رسالة ابن زيدون بما هو مشعر بذلك.

ومن تفنن الكتّاب في توظيف النص القرآني أنَّهم يجعلون الآية المقتبسة ضمن جملة الشرط، فتزيد المعنى وضوحاً، ومن ذلك ما جاء في إحدى رسائل ابن زيدون: "ولو لم تكن الشورى من أدب الله إذ يقول: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ)[4] لوجب أن يعلم أنَّها لقاح العقل ورائد الصواب"[5]، حيث وشّح رسالته بتلك الآية القرآنية الكريمة، فأسهمت في إيضاح الفكرة التي يقصدها، وأمَّا الطريقة الفنية التي أورد بها النص القرآني فقد تجلت في وعيه بأساليب توظيف تلك النصوص، إذ جاءت الآية الكريمة معترضة، ولكنها في الوقت ذاته أدّت وظيفتها التي أرادها الكاتب.

إنَّ إدراك هؤلاء الكتّاب لما ينضم عليه القرآن الكريم من إمكانات فنية هائلة تفي في التعبير عن المواقف التي يحتاجون التعبير عنها[6]، دفعهم إلى التسليم

---

(1) ربما يقصد أبا بكر مسلم بن أحمد بن أفلح النحوي المتوفى سنة (433هـ)، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص355.

(2) سورة الشعراء، الآية: 21.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص356.

(4) سورة آل عمران، الآية: 159.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص411.

(6) الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص522.

بضرورة الاستعانة بالنص المقدس والاستشهاد به، ومن ذلك أنَّهم يمهدون لدخول الآية الكريمة لحد يدفع القارئ إلى معرفة ما يدور في ذهن الكاتب الذي أصبح يستمد قواعد حياته من القرآن الكريم، ومن شواهد ذلك ما جاء في إحدى رسائل ابن برد الأصغر في الإصلاح ذات البين قوله: "إنَّ أفضل ما تناجى المسلمون به، ووجهوا بصائرهم إليه، وصححوا نياتهم فيه... من الإصلاح بين المتحاربين وتحذيرهم ما في سفك الدماء، وتأريث نار الشحناء، وتوكيد مرر الحقود، وإيقاظ عيون الحروب، من فساد الدين، ووهن اليقين، وذهاب الرجال، ونفاذ الأموال، واجتياح النعم، واستنزال النقم، قال تعالى: (لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ) [1]، وقال: (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) [2]"[3].

لقد استطاع الكاتب توظيف الآيتين الكريمتين ببراعة، إذ مهّد لهما تمهيداً يتناسب بحرفه مع مضمونهما، فجاءت الآيتان شاهداً فاصلاً على حديث الكاتب، ما يدل على أن القرآن الكريم بلغ مستوىً فنياً عميقاً لدى هؤلاء الكتّاب.

ومن شواهد هذا المنحى ما نلمحه في رسالة للبزلياني[4] عن أحد الأمراء إلى صاحبي شاطبة[5]، حيث تحدث عن موضوع الفتنة التي نشبت بين الأميرين وأمير آخر، وكشفت عن حرصه الصادق على السعي لإصلاح ما فسد بينهم، خشية أن

(1) سورة النساء، الآية: 114.

(2) سورة الحجرات، الآية: 9.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص497.

(4) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد البزلياني، أصله من مالقه، وكان في خدمة حبوس أولاً، ثم انتقل إلى بني عباد، وذكر ابن بسام أنَّه كان أحد شيوخ الكتّاب وجهابذة أهل الأدب، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص624.

(5) هما مظفر ومبارك العامريان، وكانا صاحبي بلنسية أيضاً، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص13.

يتمادى بهم اللجاج[1]، يقول مخاطباً إياهما: "ولم يخفَ عليكما ما في صلاح ذات البين، من الفوز بخير الدارين،وأمن العباد وخصب البلاد، وإعزاز الدين ... والانتهاء إلى حدود الله، والازدجار بزجره، والتأدب بأدبه، والائتمار بأمره، فإنَّه يقول عز من قائل: ﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، وقال: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا﴾[3]"[4].

إنَّ إيمان الكاتب بقدرة النص القرآني على الإيفاء بغرضه -باعتباره خير شاهدٍ يعزِّز به آراءه- دفعه إلى أن يستمدّ صيغ ومعاني خطابه منه، فجاءت الآيتان الكريمتان بنصّيهما دليلين يؤكدان ما ذهب إليه البزلياني في دعوته.

ومن أشكال توظيف الكتّاب الأندلسيين للقرآن الكريم لجوؤهم إلى أسلوب التحوير، إذ يعمدون إلى تحوير التعبير القرآني تحويراً يتناسب مع طبيعة نصوصهم والمواقف التي يتناولونها، والتوفيق بين الاستعمال الأصيل والوظيفة الجديدة [5]، وسوف نمثل على تقنية التحوير من خلال الأساليب التي طرحها هؤلاء الكتّاب، لنعرف إلى أي مدى استثمر هؤلاء الكتّاب خصائص النظم القرآني وصاغوه في رسائلهم[6].

ومن أساليبهم في هذا الاتجاه الملاقاة بين آيتين أو أكثر من سورتين مختلفتين بطريقة تحوير النص القرآني فيهما، جاعلين الجو القرآني لبنة فنية رئيسة في رسائلهم، ومن ذلك ما ورد في رسالة أبي جعفر بن أحمد عن بعض أمراء المسلمين

---

(1) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص159.

(2) سورة الأنفال، الآية: 1.

(3) سورة آل عمران، الآية: 103.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص638.

(5) القيسي، خطاب المقام النبوي والروضة الشريفة في نثر لسان الدين ابن الخطيب، ص177.

(6) بعض أساليب التحوير قد تتشابه مع أساليب الاقتباس النصّي لدى هؤلاء الكتّاب، حتى ليظن القارئ أنَّ هذا الأسلوب قد مرّ ذكره، والحقيقة أنَّ الباحث يريد بيان طريقة الكتَّاب في التعامل مع النص القرآني في حال كون النص مقتبساً أو كونه محوراً ليقف على طرائق الكتّاب في كلا الموقفين.

إلى قوم من النصارى قوله: "وإنَّ الذي بينكم وبين الهلكة لأقصر من إبهام الحبارى، في يوم ترون فيه سكارى، وما أنتم بسكارى، ولكن عذاب الله الواقع وسخطه الذي ما لكم عنه دافع"(1).

لقد استعار أبو جعفر الآيتين القرآنيتين: (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى)(2)، و (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ)(3)، وحوّرهما بطريقة فنية تشهد له بالقدرة على إخضاع الآي الكريم لحاجاته الأسلوبية، وقد وردت الآيتان في سورتين مختلفتين من القرآن الكريم، ورغم هذا استطاع الكاتب إيجاد رابط معنوي بين مدلول الآيتين، وتقديمها بأسلوب يكشف عن طموحه الفني وسعيه نحو إنتاج إبداع متميز.

ونحو ذلك ما جاء في رسالة ابن برد الأكبر عن سليمان المستعين إلى هذيل بن رزين: "وبين الفريقين أقوام خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم، ولو شاء الله لكان الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، ولذلك خلقهم"(4)، حيث عمد ابن برد إلى الملاقاة بين ثلاث آيات من سورتين مختلفتين، ففي الجزء الأول من النص استعار قوله تعالى: (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ)(5)، إذ حوّر في بداية الآية الكريمة، ثمَّ أتمّها بنصّها الحرفي لينتقل إلى نصٍّ قرآني آخر من سورةٍ أخرى هو قوله تعالى: (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)(6)، حيث نقل النص القرآني بحرفه مكتفياً بتغيير لفظة واحدة، فأتى بالفعل (كان) المقترن باللام الواقعة في جواب الشرط بدلاً من الفعل

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص768.

(2) سورة الحج، الآية: 2.

(3) سورة المعارج، الآيتان: 1-2.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص108.

(5) سورة التوبة، الآية: 102.

(6) سورة هود، الآية: 118.

(جعل) المقترن بتلك اللام، ثم أتمّها بنصّها، ثم انتقل إلى الآية التي تليها: (إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)[1]، فحذف جزءاً منها وأبقى الآخر (ولذلك خلقهم). وما من شك أن هذا التفنن في توظيف النصوص القرآنية يكشف عن أصداء الثقافة القرآنيـة التـي اكتسبها الكتّاب الأندلسيون آنذاك، ويعكس مدى تفاعلهم من النص المقدس الذي يمثل الرافد الأول لثقافتهم، إذ أدرك هؤلاء الكتّاب الوجهة التي ينبغي توجيه ثقافة الكاتب المبدع إليها، لذا فإنّ مدى استجابة الكاتب لتحقيق عناصر الإبداع التي تتجسّد غالبـاً في حضورية النص القرآني، وبراعة توظيفه تتوقف على سعة ثقافته القرآنية التـي باتت معياراً أساسياً للحكم على براعته.

ويلجأ بعض الكتّاب إلى تناول معاني بعض الآيات القرآنية وإعادة صياغتها على نحو آخر، بحيث يبقى المعنى قائماً والأسلوب مختلفاً، ومن ذلك مـا ورد فـي إحدى رسائل الكتّاب التي تحاكي رسالة ابن عبد البر فـي قتـل المعتضـد لابنـه إسماعيل[2]، إذ يقول: "هذا خليل الرحمن، وكان في الأنبياء من كان، لمـا تبـيّن أن أباه عدو لله تبرأ منه"[3]، إنّ المشهد القرآني الذي استعاره الكاتب هو قوله تعـالى: (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)[4].

ونحو ذلك ما جاء في رسالة أبي الأصبغ بن أرقم عن مجاهد العامري[5] إلى مقاتل العامري يصف مهراً ويذكر صفاته الحميدة، إذ يقول: "ولو كان مـن خيـل سليمان لما عدل بالصافنات العتاق، ولا طفق لها مسـحاً بالسـوق والأعنـاق"[6]، فالكاتب ينظر إلى قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ

(1) سورة هود، الآية: 119.

(2) لمزيد من التفاصيل عن تلك الحادثة، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص143-153.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص160.

(4) سورة التوبة، الآية: 114.

(5) هو أبو الجيش، مجاهد بن عبد الله، أمير دانية والجزائر الشرقية، كان مولى للمنصور بـن أبي عامر، توفي سنة (436هـ)، انظر: ترجمته في: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص23.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص365.

بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ)(1)، فقد استفاد الكاتب من مضمون النص القرآنـــي، وحوّره بما يناسب موضوع خطابه، فالحصان الذي يتحدث عنه الكاتب وينسب إليه صفاتٍ حميدة، لو قُدّر له أن يكون من خيل سليمان u لما شرع في قتله كما جاء في التفسير(2).

إنَّ صياغة الكاتب لخطابه بهذه الكيفية يعبّر عن جماليات الإبداع الفني فـــي لغة الكاتب، كما أن التفنن في توظيف تلك النصوص القرآنية يدعونا للوقوف علـــى مدى ما حققه الكاتب من نجاحات في أساليب التعبير وطرق التأليف.

ومن الأساليب الأخرى التي اتبعها الكتّاب، تقديم وتأخير ما يتضمنّه الـــنص القرآني مع المحافظة على تمام المعنى، ومن شواهد ذلك ما ورد في إحدى رســـائل ابن مسلم إلى صاحب ميورقة: "إنَّ الذي أنطق الجذع والحصى وخلق الحيـــة مـــن العصا، والنار بعد أن كانت ضراماً، وقال: كوني على إبراهيم برداً وسلاماً، لقـــادر على أن يورق الصلاد"(3)، من الواضح أنَّ الكاتب استلهم المعنى القرآني في قولـــه تعالى: (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ)(4)، فقدم اسم إبراهيم على لفظي (بـــرداً وسلاماً) تقديماً لم يضر بالمعنى.

ومن ذلك ما جاء في الرسالة نفسها قوله: "فلم تشك القلوب أن نفوسنا ذائقـــة الموت، حتّى إذا بلغت النفوس التراق، والتفت الساق بالساق، وقيل من راق"(5)، ليس من شك أن الكاتب استحضر قوله تعالى: (كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ

(1) سورة ص، الآيات: 30-32.

(2) لمزيد من التفاصيل حول تلك القصة، انظر: ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إســـماعيل (ت: 774هـــ)، تفســـير القـــرآن العظـــيم، تحقيـــق: محمـــد بنـــيس، دار الفكـــر، بيـــروت، 1430هــ/2009م، ص1601.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص433.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 69.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص430.

الْفِرَاقُ* وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) [1]، فقد قام بنثر الآيات الكريمة علـــى غيـــر ترتيبهـــا القرآني، فقدم الآية الكريمة (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ)على الآية الكريمـــة الأخـــرى : (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) وجاء التقديم والتأخير متفقين مع المعنى تماماً، ولـــم يـــؤثرا علـــى جوهره.

إنَّ لجوء الكاتب لمثل هذا الأسلوب يدل على قدرته على استيعاب الظـــواهر الإبداعية، واتساع حصيلته الثقافية، ومن ثم مساهمته في إنتاج نصٍّ أدبي متميز.

وكان الكتّاب يعمدون أحياناً إلى تغيير البنية الصرفية أو النحوية الأساســـية للجملة القرآنية[2]، وذلك كي تلائم تركيب السياق الذي يدرجها فيه، ومن ذلـــك مـــا ورد في رسالة ابن درّاج القسطلي لأمير المؤمنين سليمان بن الحكـــم طالبـــاً فيهـــا العطاء، ومحاولاً استدرار عطفه، من خلال تصوير حالة الفقر التي تعيشها أســـرته وأطفاله، حيث يقول: "فما وجدت أحسن بدءاً ولا أحمد عوداً، مما أذن الله فيه لعباده الذين أعمرهم أرضه وسخّر لهم برَّه وبحره، أن يمشوا في مناكبهـــا ويـــأكلوا مـــن رزقه"[3]، ففي عبارته الأخيرة نقل دلالة قولـــه تعـــالى : (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ)[4]، من صيغة الأمر إلى صيغة المضارع، بحيث بقي النص محافظـــاً علـــى تعبيراته الرئيسة، فجاء التحوير مؤكداً لأفكاره، ومثبتها في نفس القارئ.

وفي الرسالة ذاتها يعمد إلى تحوير نصٍّ قرآني آخر شبيه بالطريقة الأولـــى، حيث يقول: "الذي أمر عباده أن ينتشروا في الأرض، ويبتغوا من فضله"[5]، فأخرج فيها دلالة قوله تعالى: (فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ)[6]، من صيغة الأمر إلى

---

(1) سورة القيامة، الآيات: 26-29.

(2) القيسي، خطاب المقام النبوي والروضة الشريفة في نثر لسان الدين ابن الخطيب، ص178.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص63.

(4) سورة الملك، الآية: 15.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص63-64.

(6) سورة الجمعة، الآية: 10.

صيغة المضارع، وإذا كانت هذه أدلة على براعة الكاتب وقدرته الفنية، فإنَّها من جانب آخر تثبت أن القرآن الكريم شكَّل رافداً مهماً من روافد الثقافة لدى هؤلاء الكتّاب.

ونحو ذلك ما جاء في حديث ابن بسام عن ابن عمّار[1] قوله: "ويتمنّى لو ابتغى نفقاً في الأرض أو سلّماً في السماء"[2]، فقد حوّر الآية القرآنية الكريمة: (أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاء)[3]، ونقل دلالة الآية الكريمة من الحاضر إلى الغائب كي تتناسب وطبيعة خطابه[4].

ومن الشواهد الأخرى ما جاء في رسالة أبي جعفر ابن عباس عن زهير الفتى إلى أهل قرطبة قوله: "وأشد هذه العصابة المشؤومة ابن عباد[5]، الذي سلَّ سيف الفتنة والبغي من قرابه... ومشى في الأرض مرحاً، وظنّ أن يخرق الأرض ويبلغ الجبال طولاً"[6]، نلاحظ أنَّه لجأ إلى تحوير النص القرآني الكريم: (وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً)[7]، ونقل دلالته من المخاطب إلى الغائب، وكأنَّه يؤكد أن أشكال التأثر بالنص القرآني لم تقف عن حدٍّ معيّن، إنَّما تنوّعت وتعددت لدى هؤلاء الكتّاب إلى حد يدفعنا إلى القول: إنَّ الثقافة القرآنية التي

(1) هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمّار، كان أديباً شاعراً وعصامياً سياسياً، وصديقاً للمعتمد بن عباد، استبدَّ بمرسية مخالفة للمعتمد، وتقلبت الأيام فوقع في يد المعتمد فقتله بيده سنة (477هـ)، انظر: ترجمته في: ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص368.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص370.

(3) سورة الأنعام، الآية: 35.

(4) لمزيد من الشواهد حول تقنية التحوير عند الكتّاب الأندلسيين، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص276، ق1، م2، ص651، ق3، م2، ص867.

(5) أي المعتضد بن عباد.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص651.

(7) سورة الإسراء، الآية: 37.

اكتسبها الكتَّاب أضفت جمالاً لغوياً متميزاً على إبداعاتهم، ومدّت لغتهم بطاقات تعبيرية هائلة.

وقد يعمد بعضهم إلى حذف بعض أجزاء النص القرآني المستعار بطريقة فنية يلمحها من هوثيق الصلة بذلك النص، ومن ذلك قول ابن برد الأصغر : "الحمد لله خالق العوالم على تنافر في الصفات شديد، وتباين في التركيبات بعيد، فمن صلصال كالفخار، ومن مارج من نار"[1]، واضح أن الكاتب قصد الآيتين الكريمتين: (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ)[2]، وحذف منهما أجزاء دون حصول خلل في المعنى.

ومن ذلك ما جاء في رسالة ابن برد الأكبر عن سليمان المستعين إلى جماعة العبيد: "والله متم نعمته علينا كما أتّمها على آبائنا من قبل، إنَّ ربنا حكيم عليم"[3]، لا يخفى على ناظر أن الكاتب نظر إلى قوله تعالى: (وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[4]، حيث حذف بعض أجزاء النص القرآني بما يتناسب وطبيعة خطابه، فهو لم يبتعد عن الصياغة القرآنية والجو القرآني، بل ظلّ قريباً منهما، فحقّق لرسالته قوة تعبيرية وضمَّنها قيماً فنية وجمالية متعددة.

ويلجأ بعضهم إلى تحوير نصيّن قرآنيين في سورتين مختلفتين ويلاقي بينهما باستخدام تقنية التحوير، ويقدمهما بأسلوب يكشف عن جماليات تعبيراته الفنية، ومن ذلك ما ذكره ابن بسام حول الموت المزعوم للخليفة هشام المؤيد، الذي أشاعه المعتضد بن عباد إذ يقول: "فكم قتل وكم مات، ثم انتفض من التراب، ومزّق الكفن قبل نفخة الصور ووقعة الواقعة"[5]، فقد استعار التعبيرين القرآنيين: (فَإِذَا نُفِخَ فِي

---

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص492-493.

(2) سورة الرحمن، الآيتان: 14-15.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص110.

(4) سورة يوسف، الآية: 4.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص38.

الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ)[1]، و (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ)[2]، وحوّرهما تحـويراً يتناسـب وطبيعـة الموقف الذي تناوله، ولعلَّ اختياره لتلك الألفاظ يحمل دلالات متعددة، ذلك أنَّ دقـة اختيار اللفظة ترتكز على معنى الجملة وتسيطر على دقائقها وخصائص صـفاتها، وتؤدي المعنى بصفة مقبولة في النفس[3].

ومن الشواهد أيضاً ما ورد في فصول التحميدات لابن بـرد الأصـغر، إذ يقول: "الحمد لله الذي علم القرآن... تعالى في الحجب العلا، واطلع على النجـوى، وعلم السر وأخفى"[4]، فهو يشير إلى قوله تعالى: (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[5]، وقوله تعالى: (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)[6].

إنَّ أسلوب ابن برد في الثناء على الله تعالى يكشف لنا عـن قدرتـه علـى اختزال المعنى الذي يتضمنّه النصّ القرآني، وتقديمه في قالب جديد، مستغلاً خاصية القوة في العبارة القرآنية، ذلك أنَّ "قوة العبارة مصدرها القوة والدقة فـي التعبيـر، وإنّنا نلمس في العبارة القرآنية حلول الألفاظ في مواضعها، وترتيبها علـى حسـب الأهمية، ومتانة في سبكها، وإحكاماً في تركيبها، وغزارة في معانيها، وسلاسة فـي نسقها"[7]، من هنا فقد سلك الكاتب طريقة فنية بارعة في صياغة أفكاره، حيث استمد معانيها من القرآن الكريم، ذلك المصدر الذي شكّل رافداً أساسياً من روافـد ثقافتـه التي انعكست أصداؤها على كتاباته.

---

(1) سورة الحاقة، الآية: 13.

(2) سورة الواقعة، الآية: 1.

(3) السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، ص77.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص491-492.

(5) سورة المجادلة، الآية: 7.

(6) سورة طه، الآية: 7.

(7) السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، ص136.

ومن أجمل مظاهر التفنن عند أولئك الكتّاب، أنَّهم يتناولون المشهد القرآني الواحد بطرائق وأساليب متعددة، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: (انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً)[1]، حيث يتضمن معنى هذه الآية الكريمة دعوة المؤمنين الخروج للقتال في جميع الظروف والأحوال[2]، ونظراً لتعرّض الأندلسيين لكثير من المحن والمصائب نتيجة التكتل الصليبي الذي كان يتطلع لاستعادة الأندلس إلى حظيرة النصرانية، فقد كثرت الرسائل التي تصف تلك النكبات وتحض على الجهاد، ولمّا كان القرآن الكريم هو الرافد الأول لثقافة الكاتب الأندلسي، فقد كان له الأثر الأكبر في إكساب مفردات هذه الثقافة معاني وأساليب جديدة، وهو بالنسبة لهم مثال الفصاحة والبيان.

من هنا فقد تنوعت أساليبهم في توظيف آياته، ومنها الآية الكريمة السالفة الذكر، ومن طرائق تناولهم لها، ما جاء في رسالة لابن القصيرة[3] يصف فيها مواقف أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إذ يقول: "فأجاز إلى جزيرة الأندلس في صدر سنة تسع وسبعين، وبادر بنفسه وجماعته عجالاً، وتداركوها ركباناً ورجالاً، ونفروا نحوها خفافاً وثقافاً"[4]، ومنها قول أبي عبد الرحمن بن طاهر مخبراً الوزير أبا بكر عبد الملك بن عبد العزيز بسقوط أحد المعاقل الإسلامية بقونكة[5]: "وأرجو أن يتلافى جميعها من نظر أمير المسلمين –أيده الله- ما يعيدها، فيملأها خيلاً ورجالاً، وينفر بهم خفافاً وثقالاً، عليهم من قواده شيبها وشبانها"[6].

---

(1) سورة التوبة، الآية: 41.

(2) الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص499.

(3) هو ذو الوزارتين الفقيه الكاتب أبو بكر محمد بن سليمان بن القصيرة الكلاعي الإشبيلي، كان من أهل التفنن في العلوم كاتباً بارع الخط، وكان سفير المعتمد ابن عباد إلى ملوك الطوائف، استدعاه يوسف بن تاشفين بعد خلع ملوك الطوائف وولاه ديوان الكتابة. توفي سنة (508هـ)، انظر: ترجمته في: ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص239.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص255.

(5) مدينة بالأندلس من أعمال شنتبرية، ينسب إليها جماعة من أهل العلم، انظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص415.

(6) ابن خاقان، قلائد العقبان ومحاسن الأعيان، ص194.

ومن تلك الأساليب قول ابن بسام في ذكر تغلب ابن ذي النون على قرطبة: "وبات ابن عكاشة[1] ليلته يطوف دور الأعيان من أهل قرطبة... ودعا الكافة إلى المسجد الجامع فأتوه خفافاً وثقالاً، وبايعوه بطاء وعجالاً"[2].

ليس ثمّة شك أن المعنى الذي استخدمه الكتّاب واحد وأنَّ الأساليب متعددة[3]، وهذا دليل واضح يشهد بقدرة هؤلاء الكتّاب على التفاعل مع النص القرآني، وتوظيفه وفقاً لطبيعة نصوصهم، كما أنَّ عمق صلتهم بالقرآن الكريم منحتهم القدرة على إنتاج نصوص إبداعية تسهم في إبراز جماليات النص الفنية، وتصقل موهبة هؤلاء الكتّاب وترسّخ ثقافتهم الإبداعية القادرة على السمو بالنص الأدبي إلى مستويات الإبداع الفني[4].

إنَّ قدرة الكتّاب على توظيف النص القرآني بأساليب متنوعة يعدُّ صدىً واضحاً لتأثير الثقافة القرآنية التي حملت بدورها هؤلاء الكتّاب على إيجاد أسس جديدة قادرة على استيعاب ظواهر التفنن والإبداع، إذ لو لم يكن لتلك الثقافة الأثر الكبير في هذا الشأن لما استطاع الكتّاب تحقيق تلك النجاحات التي أصبحت سمة تميز نثرهم.

ومن المشاهد القرآنية التي تفنن الكتّاب في أساليب توظيفها قوله تعالى: (وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا)[5]، وهو مَثَل ضربه الله تعالى لمن نكث عهده[6]، حيث استوحى الكتّاب المعاني التي تختزنها تلك الآية الكريمة، فوجدوا فيها

---

(1) هو الحكم بن عكاشة، أرسله المأمون بن ذي النون للاستيلاء على قرطبة سنة (467هـ)، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص270.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص271.

(3) لمزيد من الشواهد على تعدد الأساليب في تناول تلك الآية: الكريمة، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص21، ق2، م2، ص655.

(4) الجبوري، ثقافة الشاعر وأثرها في النقد العربي القديم، ص181.

(5) سورة النحل، الآية: 92.

(6) شبهت الآية: الكريمة الذي يحلف ويعاهد ويبرم عهده ثم ينقضه بالمرأة التي تغزل غزلها وتفتله محكماً ثم تعود وتحله أنكاثاً أي أنقاضاً، قال المفسّرون: كان بمكة امرأة تغزل غزلاً

ما يغني أفكارهم ويجسّد أطروحاتهم، فأفادوا منها ما أغنى إبداعاتهم وأضفى عليها جمالاً فنياً.

يقول ابن بسام في ترجمته لابن شرف القيرواني[1]: "ومن المرية درج وطار، وباسم صاحبها أنجد ذكره وغار، وهو اليوم بها قد طلق الشعر ثلاثاً، ونقض غزله بعد قوة أنكاثاً"[2].

ومن أساليب توظيفها قول ابن عبدون يعاتب أحد أصدقائه الذي اتهمه بشرب الخمر: "فإنّي طلقتها قبل الدخول ثلاثاً"، ونقضت حبل وصالها أنكاثاً" قبل هذا والزمان مساعد، والسلطان مهاود، فكيف بها الآن"[3].

ويوظف أبو عبد الله الصقلي[4] المعنى الذي تقوم عليه الآية الكريمة بأسلوب آخر، يقول في رقعة خاطب بها أبا حفص القعيني الأندلسي في جارية سوداء شغف بها ثم باعها، فندم وحاول استرجاعها: "فانقض غزل حبّك لها أنكاثاً، وطلّق علاقة قلبك بها ثلاثاً"[5].

من خلال النصوص التي عرضنا لها يتضح لنا أن الكتّاب الثلاثة استوحوا النص القرآني واستلهموه وتفاعلوا معه، فعبروا عن رؤاهم المختلفة من خلال تحوير النص القرآني وإثارة دلالاته في ذهن المتلقي.

ثم تنقضه، وكان الناس يقولون: ما أحمق هذه!، انظر: الصابوني،صفوة التفاسير، ج 2، ص130.

(1) هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن شرف القيرواني، كان شاعر وقته غير مدافع، اتصل بالمعتصم بن صمادح أمير المرية ومدحه ونال لديه مكانة رفيعة حسده عليها بعض أدباء عصره، توفي سنة (534هـ)، انظر: ترجمته في: ابن خاقان، القلائد، ص791، ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص867.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص867.

(3) المصدر نفسه، ق2، م2، ص680.

(4) هو محمد بن أحمد بن عبد الله الصباغ الصقلي، ذكره ابن بسام بأنَّه أحد أدباء وقته المشاهير، وكلامه يعرب له عن أدب كثير، وحفظ غزير. انظر: ترجمته في: ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص308.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص313.

لقد اتخذ هؤلاء الكتّاب النص القرآني مرتكزاً ينطلقون منه، للتعبير عمّا يجول في خواطرهم، ذلك أنَّهم آثروا الاستعانة بهذا النّص المقدّس ليؤكدوا عمق علاقتهم بالقرآن الكريم من جانب، ولضمان جودة التعبير وإيصاله بطريقة محكمة إلى ذهن المتلقي من جانب آخر.

يقول الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه"التعبير الفني في القرآن الكريم ": "الأسلوب هو الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب لكلامه، وهذا هو السر في أن الأساليب مختلفة باختلاف الأدباء، مع أن المفردات التي يستخدمونها واحدة والتراكيب في جملتها واحدة، وقواعد صوغ المفردات وتركيب الجمل واحدة، والقرآن الكريم لم يخرج عن معهود العرب في لغتهم، فمفرداته مفرداتهم، وجمله جملهم، وقواعد صوغه قواعدهم... ومع هذا أعجزهم بأسلوبه الفذّ، ومذهبه الكلامي المعجز"(1).

إنَّ الذي نريده من هذا الاستشهاد هو معرفة مدى تأثُّر الكتّاب الأندلسيين بهذا الكتاب العظيم الذي أعجزهم بأسلوبه الفذّ، ومذهبه الكلامي المعجز، واجتهادهم وتنافسهم -في الوقت نفسه- في الإفادة من هذا الأسلوب، إذ أخذوا يتفنَّنون في رسم معاني آياته وتوظيفها بما يتوافق وطبيعة نصوصهم -كما رأينا- ولا غرابة في ذلك؛ فالدَّارسون لا يدعون مجالاً للشك في أنَّ الأدب الأندلسي كان يتنفّس في جوٍ مشبع بالثقافة الدينية، وقد أجمع الباحثون على أنَّ الفكر الديني ازدهر وتغلغل في شتى مجالات الحياة، وكان النثر أحد تلك المجالات التي ترك الفكر الديني -لاسيَّما القرآن الكريم- عليها بصماته، فتسربت ألفاظه وتعابيره إلى خلاياه(2).

والوجوه التي استخدم فيها الكتاب الأندلسيون القرآن الكريم هذا الاستخدام الفني كثيرة، ولم يكن هدفنا أن نمضي بعيداً في ترصّد جميع أساليب التوظيف لدى أولئك الكتاب، والإحاطة بها من كل الجوانب، إنما أردنا تسليط الضوء على بعضها، لنتعرف من خلالها على مدى تفاعلهم مع النص القرآني الذي يعد رافداً فكرياً مؤثراً

---

(1) شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، ص183.

(2) بهجت، منجد مصطفى، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، ط1، 1407هـ/1986م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص14.

في أدبهم من جانب، وعلى أثر القرآن الكريم في تربية الذوق الأندلسي وكشف جماليات الأسلوب لدى الكتاب من جانب آخر.

ولما كان التعبير القرآني تعبيراً فنياً مقصوداً؛ إذ كل لفظه بل كل حرف منه وضع وضعاً فنياً مقصوداً(1)، فقد أفاد الكاتب الأندلسي من هذه السمة، فاستطاع توظيف النص المقدس مراعياً متطلبات المعنى وجماليات التعبير، فزاد توظيفه لذاك النص المعنى وضوحاً والتعبير جودة، مع رصانةٍ في الصياغة وإحكام في النسيج ومتانة في التركيب.

إنَ تعلق هؤلاء الكتاب بأساليب القرآن مكَّنَهم من استلهام طرائقه التعبيرية، فبرعوا في ابتكار أساليب جديدة تشهد لهم بالقدرة على كساء المعنى ألفاظاً تليق به.

(1) السامرائي، التعبير القرآني، ص9.

الخاتمة:

أولى الأندلسيون القرآن الكريم مكانة خاصـَة، إذ جعلوه أصلاً في التعليم، واتجهوا إليه لتلبية رغباتهم وإغناء لغتهم، لهذا شكّل رافداً مهماً من روافد ثقافة الكتاب آنذاك وأصبح محوراً لأهداف الفكر والتأليف، وينبوعاً لكثير من جداول ثقافاتهم، فاتجهت أذهانهم إلى العناية به لتفسير آياته وتعرّف أساليبه.

حظيت الكتابة بأهمية خاصّة لدى المجتمع الأندلسي، وأصبحت جسراً يعبره الكتّاب للمناصب العليا في الدولة، وقد تأثّر الكتّاب الأندلسيون بالمذاهب الفنية المشرقية، وكان الأثر القرآني واضحاً وجلياً في رسائلهم، فأفادوا منه ما شاء لهم، ثم صاغوه بطرائق فنية كشفت عن تطلعات إبداعاتهم المتميزة، وبراعتهم في توظيف النص القرآني بما يجسّد صفة الشعرية لنصوصهم، ويضفي عليها طوابع الإبداع والتأليف.

وقد كانت المعاني القرآنية حاضرة في أذهان أولئك الكتاب، فاستلهموها وجسّدوها في رسائلهم، حتى شكّلت ظاهرة واضحة لديهم، وتمكنوا من إقامة صلة قوية بين موضوعات رسائلهم وما استلهموا من معان، وقد صيغت تلك المعاني بأساليب وطرائق مختلفة، دلّت على مهارة هؤلاء الكتاب وتألقهم.

وأفاد الكتاب من القصّة القرآنية، فاتخذوا من تلك القصّة الجوانب التي تخدم أغراضهم، وتطابق ما يرمون إليه، وغالباً ما كانوا يستعينون بتقنية التلميح، وقد كشف توظفيهم للقصّة القرآنية عن سعة مخزونهم الثقافي المتعلَق بالثقافة القرآنية، وقدرتهم على صياغتها بصورٍ متعددة.

وأبدع الكتاب في توظيف الفاصلة القرآنية، حيث استثمروا خصائصها النغمية، فجاءت فواصلهم في الغالب تحمل لحناً إيقاعياً أكسب نصوصهم قوة تعبيرية، وجمالاً صوتياً ناتجاً عن الوقع الموسيقي الذي أوجدته الفاصلة، فضلاً عن إسهامها في إتمام المعنى، واتسمت تلك الفواصل بقصر فقراتها، وخلوها من التكلّف.

وجاء توظيف النص القرآني عند هؤلاء الكتاب بأساليب متنوعة، حيث ارتقوا بأساليب تعبيرهم وتفننوا فيها، مستغلين طاقاتهم الإبداعية في الوصل بين

تجاربهم ونصوصه الكريمة، وقد كشفت تلك الأساليب عن جماليات الإبداع الفني في خطابهم النثري من جانب، وتفننهم في انتقاء أساليب تعبيرية قادرة على تطويع النصوص القرآنية لخدمة موضوعاتهم من جانب آخر.

المراجع

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت: 658هـ)، (1986)، **تحفة القادم**، أعاد بناءه وعلّق عليه: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت: 636هـ)، (1939)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت: 636هـ)، (1989)، **الوشي المرقوم في حل المنظوم**، تحقيق جميل سعيد، المجمع العلمي العراقي، العراق.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت: 776هـ)، (1975)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط1، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ابن الصيرفي، تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب (ت: 542هـ)، (1990)، **القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة**، ط1، تحقيق: أيمن فؤاد سيد الدار المصرية اللبنانية، بيروت، لبنان.

ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت: 542هـ)، (1997)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبدالله (ت: 529هـ)، (1983)، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تحقيق محمد علي شوابكة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبدالله (ت: 529هـ)، (1989)، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، تحقيق: حسين خريوش، ط1، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: 808هـ)، (د.ت)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت: 681هـ)، (1999)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: يوسف طويل ومريم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (ت: 685هـ)، (1964)، **المغرب في حلى المغرب**، ط3، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر.

ابن عذارى، أبو عبد الله أحمد بن محمد المراكشي (ت: 695هـ)، (1983)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: إحسان عباس، ط4، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

ابن كثير، عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت: 774هـ)، (2009)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد بنيس، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن محمد، علي، (1980)، **النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري مضامينه وأشكاله**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت: 711هـ)، (1956)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان.

إسماعيل، محمد بكر، (2003)، **قصص القرآن الكريم من آدم u إلى أصحاب الفيل**، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر.

الأصفهاني، العماد، أبو محمد صفي الدين عبد الله محمد بن محمد (ت: 597هـ)، (1971)، **خريدة القصر وجريدة العصر**، تحقيق آذرتاش آذرنوش، الدار التونسية للنشر، تونس.

الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب (ت: 403هـ)، (1984)، **إعجاز القرآن**، تعليق أبي عبد الرحمن صلاح عويضة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

البطليوسي، أبو محمد بن محمد بن السيد (ت: 521هـ)، (1981)، **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب**، تحقيق: مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

بهجت، منجد مصطفى، (1986)، **الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

بيريس، هنري، (1988)، **الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسة وقيمته التوثيقية**، ترجمة: الطاهر مكي، ط1، دار المعارف، بيروت، لبنان.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت: 429هـ)، (1975)، **الاقتباس من القرآن**، تحقيق ابتسام الصفار، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق.

ثقفان، عبدالله بن علي، (1994)، ظاهرة الانتماء في الأدب الأندلسي، **مجلة دراسات أندلسية**، العدد الحادي عشر، ص ص 60-79.

الجبوري، سعد، (2002)، **ثقافة الشاعر وأثرها في معايير النقد العربي القديم حتى نهاية العصر العباسي**، ط1، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا.

جرار، صلاح، (2003)، **صلاة في أروقة الزهراء قراءة في المشهد الحضاري الأندلسي في القرن الرابع الهجري**، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان، الأردن.

جرار، صلاح؛ والدروبي، محمد، (2000)، **التوقيعات الأندلسية**، منشورات جامعة آل البيت، الأردن.

الجزائري، أبو بكر جابر، (2002)، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية.

الجويني، مصطفى، (1996)، **المنظور الأدبي للنص القرآني**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

الحسناوي، محمد، (2000)، **الفاصلة في القرآن**، ط2، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ)، (1979)، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر (ت: 488هـ)، (1983)، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، ط2، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، مصر.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (1989)، **البيان في إعجاز القرآن (علوم القرآن وأصول التفسير)**، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

خضر، حازم عبد الله، (1988)، **النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين**، ط1، دار الشروق، عمان، الأردن.

خلف، محمد؛ وسلام، محمد زغلول، (1968)، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني**، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر.

الداية، محمد رضوان، (2000)، **في الأدب الأندلسي**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

الدروبي، محمد، (1999)، **الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن.

الرافعي، مصطفى صادق، (1995)، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

الربيعي، أحمد، (2001)، **القصص القرآني في الشعر الأندلسي**، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق.

رمضان، محيي الدين، (1988)، **وجوه من الإعجاز في القرآن الكريم**، ط1، منشأة معارف، الإسكندرية، مصر.

الزَّرْكَشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله (ت: 794هـ)، (د.ت)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الزعبي، أحمد، (1993)، **التناص نظرياً وتطبيقياً**، ط1، مكتبة الكتاني، اربد، الأردن.

السامرائي، فاضل، (2009)، **التعبير القرآني**، ط6، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

ستيوارت، ديفين، (1993)، السجع في القرآن بنيته وقواعده، ترجمة: محمد بريري، **مجلة فصول**، المجلد الثاني عشر، العدد الثالث، ص ص 10-16.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (2000)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَان**، تحقيق: محمد الصالح العثيمين، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر.

سلام، محمد زغلول، (1968)، **أثر القرآن الكريم في تطور النقد العربي**، تقديم محمد خلف الله أحمد، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر.

سلامة، علي محمد، (1989)، **الأدب العربي في الأندلس تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه**، ط1، الدار العربية للموسوعات.

السلامي، عمر، (1980)، **الإعجاز الفني في القرآن**، مؤسسات عبد الكريم بن عبدالله، تونس.

السيوطي، شيخ الإسلام جلال الدين بن عبد الرحمن (ت: 911هـ)، (1973)، **الإتقان في علوم القرآن**، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

شراد، شلتاغ عبود، (1987)، **أثر القرآن في الشعر العربي الحديث**، ط1، دار المعرفة، دمشق، سوريا.

الشريف، العربي سالم، (د.ت)، **دراسات في الأدب الأندلسي**، دار شموع للثقافة، بيروت، لبنان.

شلق، علي، (1991)، **مراحل تطور النثر العربي في نماذجه**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

شيخ أمين، بكري، (1994)، **التعبير الفني في القرآن الكريم**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

الصابوني، محمد علي، (2001)، **صفوة التفاسير تفسير القرآن الكريم**، دار الفكر، بيروت، لبنان.

الصفَّار، ابتسام مرهون، (1974)، **أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري**، ط1، مطبعة اليرموك، بغداد، العراق.

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت: 599هــ)، (1989)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، ط1، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة، مصر، بيروت، لبنان.

ضيف، شوقي، (1960)، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر.

ضيف، شوقي، (1971)، **فصول في الشعر ونقده**، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر.

عامر، فتحي أحمد، (1988)، **فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم**، ط1، منشأة معارف، الإسكندرية، مصر.

العاني، محمد شهاب، (2002)، **أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي**، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق.

عباس، إحسان، (1985)، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ط7، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

عباس، إحسان، (د.ت)، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة**، ط1، دار الشروق، عمان، الأردن.

عباس، إحسان، (د.ت)، **عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

عباس، فضل، (1987)، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، ط1، دار الفرقان، عمان، الأردن.

عبد الباقي، محمد فؤاد، (2001)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الحديث، القاهرة، مصر.

عبد الحميد، محيي الدين، (1995)، **أدعية الهمَ والغم والكرب والحزن**، ط1، دار القادسية للنشر والتوزيع، جدة، السعودية.

عتيق، عبد العزيز، (1976)، **الأدب العربي في الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: 395هـ)، (1984)، **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر**، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

علاونة، شريف راغب، (2005)، **النقد الأدبي في الأندلس (عصر المرابطين والموحّدين 479-646هـ)**، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن.

العمري، ابن فضل الله، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت: 749هـ)، (1988)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، السفر الثالث عشر، تصدير فؤاد سركين، مخطوطة، مكتبة السليمانية، استانبول.

عيسى، فوزي، (1989)، **رسائل أندلسية**، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.

قطب، سيد، (1980)، **التصوير الفني في القرآن**، ط6، دار الشروق، بيروت، لبنان.

قطب، سيد، (1986)، **في ظلال القرآن**، ط12، دار الشروق، القاهرة، مصر.

قطب، محمد علي، (2000)، **قصص القرآن**، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

القلقشندي، أحمد بن علي (ت: 821هـ)، (د.ت)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

القويدر، سطام، (2006)، **توظيف الموروث الثقافي في النثر الفني الأندلسي في القرن الخامس الهجري**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

القيسي، فايز عبد النبي، (1989)، **أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري**، ط1، دار البشير، عمان، الأردن.

القيسي، فايز عبد النبي، (2005)، أدب الحكمة في درر الكلم وغرر الحكم للسيوطي، **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، المجلد العشرون، العدد الثامن، الكرك، الأردن، ص20-39.

القيسي، فايز عبد النبي، (2006)، خطاب المقام النبوي والروضة الشريفة في نثر لسان الدين بن الخطيب، **المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها**، المجلد الثاني، العدد الأول.

الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور (من أعلام القرن السادس الهجري)، (1985)، **إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس**، ط1، تحقيق: محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

الكواز، محمد كريم، (2002)، **أسلوب التعقيب في القرآن الكريم**، ط1، منشورات جامعة السابع من إبريل، الجماهيرية العربية الليبية.

لاشين، عبد الفتاح، (1982)، **الفاصلة القرآنية**، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية.

مؤلف مجهول، (د.ت)، **رسائل سياسية وإخوانية أندلسية، الإسكوريال (مخطوط رقم 448)**، نسخة مصوّرة محفوظة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت: 647هـ)، (د.ت)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: محمد سعيد العريان، الجمعية العربية المتحدة، لجنة إحياء التراث.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ)، (1988)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ط1، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.

المولى، محمد أحمد جاد ومجموعة مؤلفين، (1994)، **قصص القرآن**، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت، لبنان.

نجا، أشرف محمود، (2006)، **في الأدب الأندلسي بحوث في نقد الخطاب الإبداعي،** ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر.

نَصَّار، حسن، (1999)، **الفواصل،** ط1، مكتبة مصر، الفجالة، مصر.

الهروط، عبد الحليم حسين، (2006)، **النثر الفني عند لسان الدين ابن الخطيب،** ط1، دار جرير.

هياجنة، محمود سليم، (2008)، **الصورة النفسية في القرآن الكريم،** ط1، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن.

الياسين، إبراهيم منصور، (2006)، **استيحاء التراث في الشعر الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين،** ط1، عالم الكتب الحديث، بيروت، لبنان.

السيرة الذاتية

الاسم: طارق محمد السلامين.

الكلية: الآداب.

التخصص: اللغة العربية/ دراسات أدبية.

السنة: 2010.

الهاتف النقال: 0777788273.